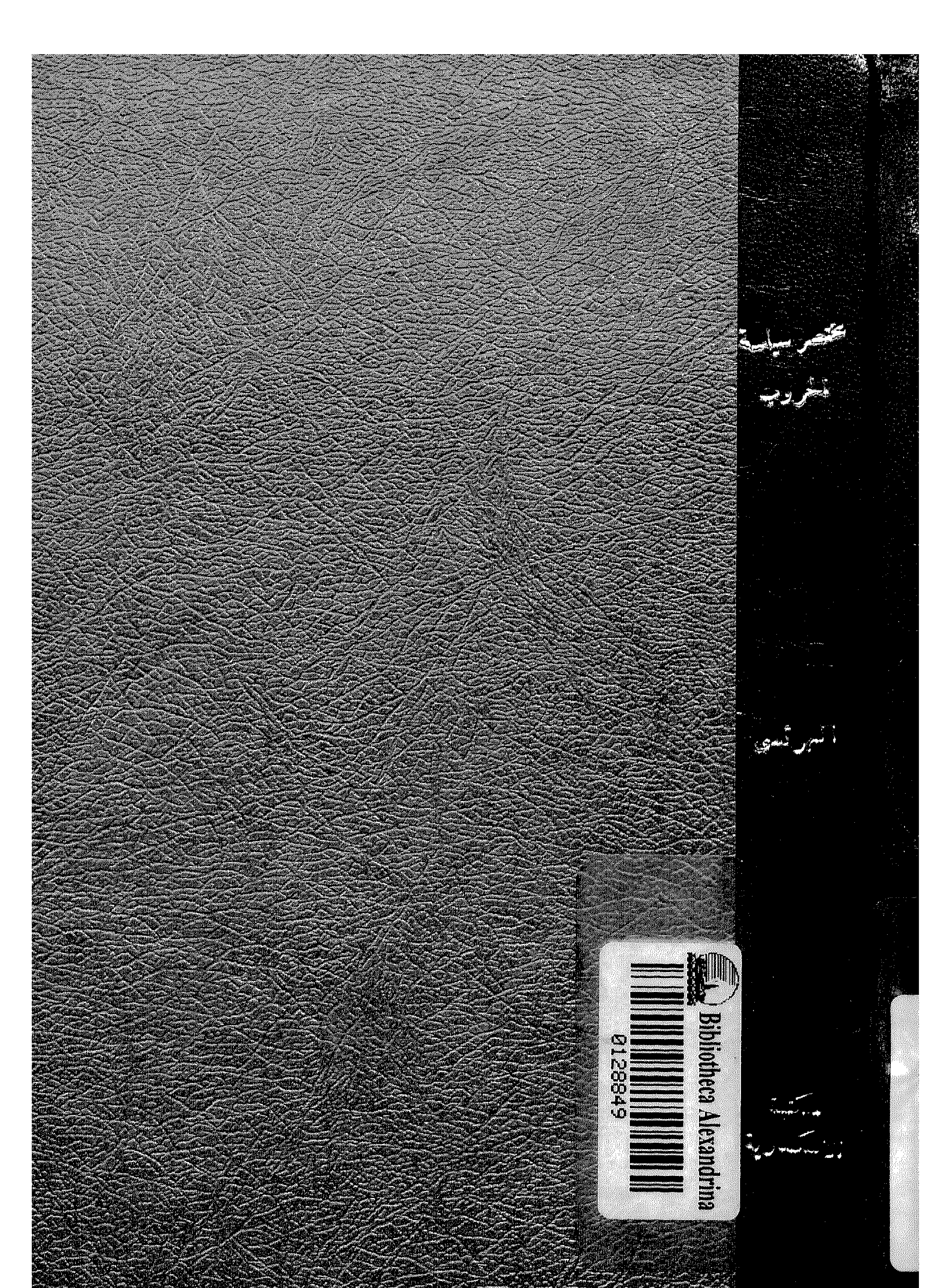

Bibliotheca Alexandrina
0128849

تراثنا

مختصر سياسة الحروب

للهرثمي صاحب المأمون

تحقيق
عبد الرؤوف عون

مراجعة
الدكتور محمد مصطفى زيادة

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

ثبت المراجع

١ — ابن الأثير الجزرى : (أبوالحسن بن أبي الكرم بن محمد الشيبانى (٦٢٩ هـ — ١٢٣٢ م).

الكامل فى التاريخ طبعة المطبعة الأزهرية ١٣٠١ هـ.

٢ — ابن سيده : أبو الحسن على بن اسماعيل اللغوى الأندلسى (٤٥٨ هـ — ١٠٦٦ م).

المخصص طبعة المطبعة الأميرية ١٣١٦ هـ.

٣ — ابن القيم : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (٧٥١ هـ —)

الفروسية طبعة دار الكتب المصرية ١٩٤١ م.

٤ — الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (٣١٠ هـ —).

تاريخ الأمم والملوك طبعة المطبعة الحسينية ١٣٢٦ هـ.

٥ — الفيرزا بادى : مجد الدين بن محمد بن يعقوب بن عمر الشيرازى (٨١٦ هـ —).

القاموس المحيط فى أربعة أجزاء طبعة سنة ١٣٥٢ هـ.

٦ — الكندى :

الولاة والقضاة طبعة لندن ١٩١٢ م.

٧ — السيوطى : جلال الدين السيوطى ١٩١٠ هـ.

تاريخ الخلفاء له. طبعة مصر ١٣٠٥ هـ.

٨ ـ النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويرى، (٧٣٣ هـ).
نهاية الأرب فى فنون الأدب جـ ٦ طبعة دار الكتب ١٩٢٦ م .
٩ ـ أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدى (٢٠٧ هـ ـ) .
فتوح الشام طبعة مصطفى محمد . القاهرة ١٢٨٢ هـ .
١٠ـ الهمذانى : العلامة عبد الرحمن بن عيسى الهمذانى .
الألفاظ الكتابية طبعة مصر ١٩٣١ م .
١١ـ الدكتور هنداوى : معجمه فى اللغة الفارسية .
١٢ـ عبد الرؤوف عون : الناشر لهذا الكتاب .
الفن الحربى فى صدر الاسلام طبعة دار المعارف ١٩٦١ م .

تقديم

أرى لزاماً على أن أقدم بين يدى هذا الكتاب ، بكلمة توضيحية عن نسخته المخطوطة ، ثم عن وصفها ، ثم بيان خطة التحقيق التى سرت عليها .

ليس لهذا المخطوط فيما أعلم سوى نسخة وحيدة ، حصل عليها معهد احياء المخطوطات بالجامعة العربية ، من مكتبة « كوبريللى » بالاستانة ، وهى مصورة على (ميكروفيلم) (رقم ٨٤٤) ، ولما صح عزمى على تحقيق هذا المخطوط ونشره ليعم النفع به ، أخذت أبحث عن نسخ له أخرى فى جهات كثيرة فرجعت إلى كتاب « بروكلمان » كما رجعت إلى فهرس الفهارس الجامع ، المطبوع بمعرفة دار الكتب المصرية ١٩٥٩ م ، وهو جامع لفهارس المخطوطات كلها .

ثم كتبت إلى بعض أصدقائى بالبلاد الخارجية المهتمين بالمخطوطات ، ليدلونى على نسخة أخرى لهذا المخطوط فلم أرجع من هذا البحث الا بانفراد هذه النسخة التى صورتها لحسابى عن الجامعة العربية ، وكان انفراد هذه النسخة مما أغرانى بالاقبال على نشرها كما أغرانى به أيضاً تشجيع الزملاء الأفاضل ، الذين عنوا بإخراج المخطوطات من قبلى .

وينبغى أن يلاحظ القارئ أن هذا الكتاب مختصر من كتاب كبير يسمى « الحيل فى الحروب » ألفه « الهرثمى الشعرانى « للخليفة المأمون » العباسى . وقد تحدث « ابن النديم » فى الفهرست عن هذا الكتاب الكبير تحت عنوان : « الكتب المؤلفة فى الفروسية وحمل السلاح ، وآلات الحرب والتدبير ، والعمل بذلك لجميع الأمم فوصفه وصفاً يدل على ضخامته ، فقــد قال عنه ما نصه : « كتاب الحيل للهرثمى الشعرانى ، ألفه للمأمون فى الحروب ، جود فى

تأليفه وجعله مقالتين : المقالة الأولى ثلاثة أجزاء ، والمقالة الثانية ستة وثلاثون فصلا ، ألف وخمسة وعشرون باباً : الجزء الأول عشرون باباً يحتوى على مائتين وأربع وستين مسألة ، والجزء الثانى سبعة أبواب يحتوى على اثنتين وأربعين مسألة ، والجزء الثالث أربعة وعشرون باباً ، يحتوى على مائة وأربع وأربعين مسألة .. »

وقد استبان لى بالبحث والموازنة بين أبواب هذا المختصر وأبواب الكتاب المذكور فى الفهرست أن كتاب « الحيل » لا وجود له الآن ، ويبدو أنه فقد فيما فقد من الكتب أيام نكبة بغداد بالغزو التترى المعروف ، كما استبان لى أن الشخص الذى اختصر لنا هذا الكتاب من كتاب « الحيل » شخص غير الهرثمى المؤلف ، عاش قبل أواخر القرن الرابع الهجرى ، حيث صاحب الفهرست الذى تحدث عنه ، والدليل على أن المختصر غير المؤلف ما يأتى :

١ — لو كان الهرثمى هو الذى اختصر كتابه ، لأشار إلى الأصل فى مواضع من مختصره ، جرياً على عادة المؤلفين وبخاصة فى هذا العصر ، كالمسعودى مثلا .

٢ — جاء فى المختصر هذا العنوان لأحد أبوابه « الباب التاسع والثلاثون » وهو الباب الثالث فى اشتباه الخطأ والصواب وخلافهما ، وهذا يشير إلى أن هذا المختصر مأخوذ من الجزء الثانى الذى هو سبعة أبواب ، مع اختلاف الترتيب .

٣ — الجزء الثانى من كتاب « الحيل » يحتوى على اثنتين وأربعين مسألة ، كما ذكر ابن النديم ، وهذا المختصر يحتوى على أربعين باباً ، ويبدو أنه سقط منه عند اختصاره بابان لأن الورقة الأولى مكتوب عليها بالخط الواضح « عدد أوراقه ستون ورقة محرية بالذهب » والواقع أن الكتاب سبع وخمسون ورقة فقط مع ترابط أجزائه واتصالها .

٤ — بهذا المختصر كثير من النصوص المضطربة ، التى بعد عنها عبث الناسخ الذى معظم أخطائه فى الرسم الإملائى وتصحيف الكلمات وتكرارها ، ولو كان المؤلف هو المختصر لكتابه لأقام تلك النصوص وأغنانا عن إصلاحها .

هذا والمخطوط مدون بخط النسخ الواضح ، والمداد الأسود الجيد ، فى سبع وخمسين ورقة لا جداول لها تحيط بها ، وأبوابه مكتوبة بالمداد المذهب وكتب على الورقة الأولى داخل جدول مزخرف هذه العبارة : « كتاب مختصر سياسة الحروب للهرثمى صاحب المأمون » كما كتب عليها بعض عبارات تمليك أخرى تشير إلى من تداولوا هذا المخطوط ، ففى أعلى الصفحة كتبت هذه العبارة بدون إعجام » للعبد الفقير إلى الله تعالى » متبوعة بتوقيع غير واضح ، كما كتبت على هامش الصفحة هذه العبارة « الحمد لله وحده » من كتب العبد الفقير إلى الله تعالى ، أيوب الجهنى عمير بن أبى بلهف ، ثم كرر (عمر بن أبى بلهف) ثلاث مرات ، وبعدها الدمشقى ، عفا الله عنه بمنه وكرمه ، آمين آمين آمين والحمد لله تعالى ، وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده .

ويوجد بأسفل الصفحة ختم مستدير الشكل ، مكتوب فيه بخط الثلث المتداخل ما نصه : —

« هذا وقف الوزير أبو العباس أحمد بن الوزير أبى عبد الله محمد ، عرف بكوبريللى ، أقال الله عثارهما » . . .

وفى آخر صفحة من المخطوط كتبت هذه العبارة : « تم الكتاب بحول الله وقوته ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله وسلم . وبمواضع مختلفة من الكتاب ختم يقول « وإنما لكل أمرىء ما نوى » للاشارة إلى نية صاحبه .

هذا ، ويلاحظ أن ناسخ المخطوط جرى على إهمال كثير من النقط ،

وبخاصة للباء والياء والتاء فى أوائل الكلمات ، كما نقط السين بثلاث نقط من أسفلها ، جرياً على طريقة الأعجام التى كانت شائعة حتى أوائل القرن السابع الهجرى .

كما يلاحظ أن أسلوب المتن جرى على تسهيل الهمزة المتوسطة فى الكلمات بقلبها ياء كما فى « قايل ، والطلايع ، والجنايب » وعلى قصر الممدود دائماً ، وعلى إهمال رسم همزة القطع ، وألف المد المتوسطة فى الكلمة ، وسوف يدأب الناشر على تصحيح ذلك كله بما يتفق والرسم الإملائى الحديث ؛ دون حاجة إلى الإشارة إليه ، أو التعليق عليه فى هوامش الكتاب .

وجرياً على قواعد التحقيق رأيت أن أصلح النص ، الذى لا حظت عليه التواء يخل بمعناه ، نتيجة لخطأ الناسخ فيه ، وأن أثبته فى صلب الكتاب صحيحاً ، ثم أكتب بالهامش ما جاء بالأصل بين علامتى تنصيص ، مع التعليق الموجز عليه .

أما النص المضطرب الذى أحتاج فى تقويمه إلى إضافة كلمة أو حرف ، فإنى أضفت اليه ما يحتاجه بين قوسين معقوفين دون الاشارة الى ذلك بالهامش .

فاذا كانت العبارة بالاصل ملتوية ، ولم أتأكد من خطئها ، فأنى أثبتها فى الصلب على حالها ، وأشرت بالهامش الى طريقة تقويمها بصيغة الاحتمال . وسوف أضيف لآخر الكتاب عند طبعه فهرست بالمصطلحات الحربية التى جاءت فيه .

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت ، فى تجلية غوامض بعض العبارات التى بالمخطوط وشرح بعض مصطلحاته الفنية شرحاً يعين على فهمها ، والله الموفق للخير والهادى اليه .

بقى بعد ذلك أن أشير إلى شخصية المؤلف .

من هو الهرثمى ؟ هو أبو سعيد الشعرانى الهرثمى كما فى فهرست « ابن النديم » وليس بالمراجع التى رجعت اليه من كتب التراجم وغيرها ،

شيء عن ترجمة هذا المؤلف ولكن يبدو أن الهرثمى « هذا قد يكون منسوباً بالولاء إلى « هرثمة بن أعين الجيلى الذى كان من أبرز قادة » « الرشيد العباسى » فاستعان به على إخضاع الثائرين ببلاد المغرب ، فلما ظهر نجاحه بها ولاه عليها ، ثم ولاه بعدها على خراسان ، فأقام بها حتى كانت الفتنة بين الأخوين « المأمون والأمين » فكان قائد جيوش الأول ، ثم عاش إلى ما بعد سنة ٢٣٤ هـ فى خلال حكم الخليفة « المتوكل » فقد ذكر الكندى فى كتابه « الولاة والقضاه » ص ١٣٤ — طبعة لندن سنة ١٩١٢ أن المتوكل كتب إلى هرثمة فى جمادى الآخرة من تلك السنة ، يأمره بترك الجدل فى القرآن .

وقد كانت عادة كبار القادة أن يتخذوا لهم غلماناً من غير العرب ، ينشئونهم على الفروسية وأعمال القتال ، فيحملون لهم اللواء فى معاركهم ، ويقومون فيها على خدمتهم وذكر الكندى من هؤلاء الأتباع « منصور بن زياد » كما ذكر رجلا آخر يسمى « محمد بن سويد » فمن الجائز ان يكون الهرثمى أحد أبناء هرثمة ، أو أحد هؤلاء الأتباع من الموالى الذى نسب إليه بالولاء . وعلى أية حال فالكتاب قيم نفيس فى ذاته ، وهو جدير بأن يكون بداية صالحة، لفتح باب النشر لكتب الحرب والفروسية ، فالمرء المنصف هو الذى يقدر العمل العلمى لذاته ، دون نظر إلى شخص صاحبه ، وقد نشر بعض المستشرقين مخطوطات قيمة ، مجهولة المؤلف تماماً لمـا بها من منافع للناس .

والله وحده ، ولى التوفيق ، وبه وحده الاستعانة والاستهداء . . .

مختصر سياسة الحروب

اعلم أن أمورَ الحروب وحوادثها أكثر وألطف من أن تحيطَ بها الكتبُ ، أو يبلغَها الوهمْ ، وأنما قصَدْنا فى كتابنا قصْدَ الاذكار والتنبيه ، وقد رسمْنا من معانى ما صار إلينا من كتب الأوائل فيها ، وأحاديثهم عنها ، إلى ما حضَرَنا فى ذلك بعضَ ما رجوْنا أن يكون فيه كفايةٌ لما قصَدْنا له .

على أن كثيراً مما وجدْنا فى كتبهم من ذكرِ التعبئاتِ وللقاءِ وما أشبه ذلك ، إنما هو فى الزحفين الأعظمين ، والذى يقع من الاختلاف فى الحروب وحوادثها أكثرُ من أن يحصَى بالتدبير ، والعملُ يختلف فيها بحسب ذلك .

وقد صيَّرْنا هذا الكتاب ، أربعين باباً مُجرَّدة ، وهذه تسمية الأبواب ، ليَنظرَ الناظرُ فيها فيقصِدَ بُغْيته منها إن شاء الله :

أبواب مختصر سياسة الحروب

الباب الأول : فى أن نظام الأمر فى الحرب تقوَى الله والعمل بطاعته .

الباب الثانى : فى حسن سياسة الرئيس أصحابه .

الباب الثالث : فى ذكر فضائل الرئيس وأصحـابه ، قالوا أفضل الرؤساء فى الحروب أمينهم[١] .

الباب الرابع : فى ذكر الحذر وسوء الظن .

الباب الخامس : فى ذكر الأناة والرفق .

الباب السادس[٢] : فى الاستشارة وترك الاستبداد بالرأى .

الباب السابع : فى حفظ السر وصيانته .

الباب الثامن : فى ذكر النصحاء والمتنصحين .

الباب التاسع : فى العيون والجواسيس .

الباب العاشر : فى الأمر بتعجيل الأهبة والتعبئة .

الباب الحادى عشر : فى تسمية أصول أجزاء التعبئة .

الباب الثانى عشر : فى تسمية الجيوش وما دونهم ومبلغ عددهم .

الباب الثالث عشر : فى التحرز عند الترحل — (و) — فى المسير .

الباب الرابع عشر : فى التعبئة عند وقوع الخوف فى المسير .

الباب الخامس عسر : فى التحرز عند النزول والمقام .

---

(١) يلى هذا بالأصل عبارة نصها : « الرابع بعد موضعين مذهبة . الباب الرابع فى ذكر الحذر ، قالوا أول العمل فى الحرب » وهى عبارة زائدة ، خارجة عن سياق الكلام .

(٢) جرت عادة الناسخ فى هذا الكتاب أن يعجم السين بثلاث نقط من أسفلها عملا بطريقة الإعجام التى كانت متبعة فى أوائل القرن السابع الهجرى ، وقد عملت على إصلاح ذلك بما يتفق والرسم الحديث دون حاجة إلى هوامش أخرى .

---

(١) ليس المقصود بالأحيان الخمسة أجزاء الجيش المعروفة ، التى سمى خميساً من أجلها ، لكن المقصود بها تشكيلات الجيش الكبرى فى الميدان ، كما سيأتى شرحه فى الباب التاسع عشر فانظره .

(٢) أى مهاجمتها وعلاج خير الطرق لاقتحامها ، أما الدفاع عنها ففى الباب التالى .

(1) المقصود بذلك اختلافهما والمراد بالباب الثالث بيان ترتيب هذا الموضوع في الأصل الذي اختصر عنه هذا الكتاب .

الباب الأول

فى أن نظامَ الأمر تقوى اللهِ والعملُ بطاعته

فينبغى لصاحب الحرب أن يجعلَ رأسَ سلاحه فى حربه تقوى الله وحده وكثرةَ ذكره ، والاستعانةَ به ، والتوكلَ عليه ، والفزعَ إليه ومسألته التأييدَ والنصر ، والسلامةَ والظفر[1] وأن يعلم أن ذلك إنما هو من الله جلّ ثناؤُه لمن شاء من خلقه كيف شاء ، لا بالأرَبِ[2] منه والحيلة ، والاقتدارِ والكثرة ، وأن يبرأ إليه جل وعز من الحوْل والقوة ، فى كل أمر ونهى ووقت وحال ، وألا يدعَ الاستخارة لله فى كل ما يعملُ به ، وأن يترك البغيَ والحقدَ ، وينوىَ العفوَ ، ويترك الانتقامَ عند الظفر[3] ، إلا عما كان لله (فيه) رِضى ، وأن يستعملَ العدلَ وحسنَ السيرة ، والتفقّدَ للصغير والكبير مما فيه مصلحة رعيته ، وأن يعتمدَ فى كل ما يعملُ به فى حربه طلبَ ما عند ربِّه عز وجل ، ليجتمع له به خيْرَا الدنيا والآخرة . فعسى قائلِ الآن أن يقول : فقد نرى البُغاةَ الظلمةَ بأهل العدل والإنصاف يظفرون ، ونرى الكفرة بالله على أوليائه يُنصرون ، فليَعلمْ أن ذلك من تقدير العزيز الحكيم فى خلقه ، لما هو أعلم به من مكنون غيْبه .

على أنه قد يكون ذلك للكافرِ الظالم إملاءً واستدراجاً ، وللمظلوم الموالى نظراً وابتلاء[4] ، وإن العاقبةَ للمتقين .

---

(١) يكاد يجمع القادة الذين خبروا الحروب ، أن الجند يكتب لهم النصر فى الميادين ماداموا يعتقدون أنهم جند الله ، يحاربون لنصرة الحق على الباطل ، ويؤيد ذلك قوله تعالى : «الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت» سورة النساء: آية ٧٦ .

(٢) الأرب العقل والشخص الأريب العاقل .

(٣) يعنى أن البغى والحقد والعزم على الانتقام ، من الصفات المهلكة للجيوش ، فالبعد عنها واجب .

(٤) الابتلاء الاختبار ، والنظر التأخير . قال تعالى : « أنظرنى إلى يوم يبعثون » أى أخرنى والمراد لينظر الله أيصبر العبد على ذلك أو يكفر ؟

فليتّق ربه وليصدُق يقينهُ ، ويتجنب الظلمَ فإنه ظلماتٌ يوم القيامة ، مع ما ينال صاحبهُ من عاجل عقوبات الدنيا ، ولا يعملْ بشيء من كتابنا هذا ولا بغيره إلا بما كان لله فيه رضى ، وبالله العصمةُ ومنه النصر.

الباب الثانى

فى حسن سياسة الرئيس أصحابه

قالوا : الغرض الذى يجرى إليه السائسُ الكاملُ فى سياسة أصحابه ثلاثُ خصال : المحبة ، والهيبة منهم له ، والمحبة من بعضهم لبعض ، وقد يحتاج فى اجتماع هذه إلى آلات كثيرة[1] وأعمال لطيفة .

تفقّدْ من أمور أصحابك جميعَ ما يعودُ نفعه (عليهم) ، استزدْ محسنهم بالتكرمة ، وقدّمْ قبلَ الإساءة إلى مسيئهم بالمعذرة ، واستعتبْ مقصرَهم بحسن الأدب استعتابَ مستصلحٍ لهم ، غير مغتنم للزّلّة ولا معترضٍ للعثْرة ، ولا مستريحٍ إلى كشف غامض العورة ، فإنه لا يُصلحُ الرعيةَ إلا بعضُ تغابى الراعى عن فلتات زللها[2] .

اجعل عامةَ أصحابك فى لين الكلمة بمنزلة الخاصة ، من غير أن تنقصَ أحداً من ذوى[3] البلاء حقّهُ وثوابه ، ولا تسوِّ به منْ لا بلاء له .

أنه لا سلطانَ لك على قلوب أصحابك ، فاستدْع موداتهم بلين الجناح وطيِّب الكلام ، وإعطاء الحق وحسن النظر ، — تصفُ[4] لك قلوبهم .

(١) المراد بالآلات الوسائل المؤدية إلى تحقيقِ تلك الصفات .

(٢) هذه المعاملة هى الحكمة نفسها فى سياسة الجند ، فإنها تأسر قلوبهم وستخرج إخلاصهم فى الميادين ، أما الشدة فلا تأتى إلا بنتائج عكسية ، وإن تغابى الرئيس عن ذنب المذنب يجعله دائماً فى حذر منه ، ويعمل جاهداً فى إخفاء ذنبه عنه ، ويحاول أن يصلح من نفسه أمامه .

(٣) فى الأصل « ذى » بالأفراد ، والصواب ما أثبت هنا ، والمقصود بالبلاء الإجادة والإحسان .

(٤) فى الأصل « تصفو » بإثبات الواو ، والمكان يقتضى جزم الفعل بحذفها .

فوضْ إلى قوادِك ووُلاة ِجندك أمورَ أصحابهم، ورُضْهمْ لهم من غير أن تأذنَ لأحد فى بَسط يده عليهم من أخذ مال أوعقوبة(١) إلا عقوبةَ أدب فى صغائر الأمور، فأما غيرُ ذلك فلا يليَنَّه غيرُك، أو صاحبُ أحداثك بأمرك(٢).

الباب الثالث

فى ذكر فضائل الرئيس وأصحابه

قالوا أفضلُ الرؤساءِ فى الحرب أيمنُهمْ نقيبةً، وأكملُهم عقلا، وأطولُهم تجربة، وأبعدُهم صوتاً، وأبصرُهم بتدبير الحرب ومواضعِها، ومواضع الفُرَص والحيلِ والمكايدَة، وأحسنُهم تعبئةً لأصحابه فى أحوال التعبئة، وتسييرُهم أوان المسير، وإنزالُهم أوان النزول، وإدخالُ الأمن عليهم والخوفِ على عدوهم، مع طلب السلامة لنفسه وأصحابه من العدو، وأن يكون حسنَ السيرة عفيفاً صارماً حذراً متيقظاً شجاعاً(٣) سخياً.

من فضائل الرئيس فى الحرب(٤)

المعرفة عند اللقاء بهذه الخمسة والعشرين حرفاً(٥)، وحسن التدبير لأصحابه عندها وهى هذه: التحضيض، والتشجيع والإمعان، والتواقُف،

---

(١) جاءت العبارة بالأصل هكذا: «من غير أن تأذن لأحد من بسط يده عليهم فى أخذ مال أو عقوبة» ولعل الصواب ما أثبت هنا.

(٢) صاحب الأحداث، الشخص المكلف بالتحقيق فيها، والحكم على أصحابها، ويقابله فى جيوشنا الحديثة نائب الأحكام، ويجب أن يراعى أن الشدة على الجند عند الحرب قد تحملهم على التمرد، أو اللجوء إلى العدو، فيحسن البعد عنها فى الميدان.

(٣) هذه مجموعة الصفات التى يجب توافرها فى كل قائد ناجح، فإن النصر يسير فى ركابها، والجند أكثر ميلا إلى القتال فى ظل القائد المعروف بيمن النقيبة، وطول التجربة، وسعد الطالع، وإن كان البصر بالحرب أهم هذه الصفات، ولذا قال الرسول عليه السلام «إنى لأؤمر الرجل على القوم فيهم من هو خير منه، لأنه أيقظ عيناً وأبصر بالحرب» تاريخ الخلفاء للسيوطى. طبعة مصر. ص ٤١.

(٤) يقصد بفضائل الرئيس الصفات المميزة للقائد الماهر، الدالة على خبرته وكفايته.

(٥) فى الأصل «الخمسة والعشرون الحرف» والمراد بالحرف المصطلح الخاص القاموس.

والتزاحُف ، والازْدلاف(١) ، والمطاوَلة والمشاولة(٢) والمبارزة ،والمساورة(٣)، والكرَّةُ ، والانحيافُ ، والعطف بعد الحملة (٤) ، والإنابةُ بعد الحولة (٥) والرَّجْعة بعد التولى ، والسكون بعد الاسْتطارة (٦) ، والطلب بعد الهزيمة ، والركوب للمنهزمين ، والإلحاحُ عليهم ، والكف عنهم والإنصراف بعد بلوغ الحاجةِ منهم إلى موضع المعركة ، والتقدم للقتال ، والتأخر عنه ، والأمن من الخوف ، والهزيمة من الفلْج(٧) .

أفضل خصال من استُعين به فى الحرب من أهل الطاعة

اللزوم لمراكزهم من الخوف و (معرفة) الظَّفر من الهزيمة، والمعرفة عند اللقاء لأصحابهم من أعدائهم ، مع البصر بأنواع أسلحتهم وعلاجها (٨) ، وصنعة ما يمكن صنعته منها ، والحِذْق بالعمل فى الحرب بأنواعها ، والمعرفة بالدواب وآلاتها (٩) وعلاجها ومصلحتها والقيام عليها .

---

(١) الازدلاف الاقتراب من الأقران . القاموس .

(٢) المشاولة أن يرفع الجندى سلاحه فى وجه عدوه . القاموس المحيط .

(٣) المساورة هى المواثبة أى يثب كل جندى على صاحبه .

(٤) أى رجوع الجند إلى مواقفهم فى الصفوف بعد القيام بالهجوم .

(٥) فى الأصل « الحولة » بلا نقط وهذه الجملة مرادفة لسابقتها .

(٦) الاستطارة التفرق من الفزع وشدة الخوف .

(٧) الفلج الظفر والفوز كما فى القاموس ، أى يجب على القائد أن يعرف مواطن هذه الأشياء .

(٨) المراد بعلاجها مقاومتها بالأسلحة المضادة لها ، وصنع الأسلحة المماثلة لها لتتحقق المكافأة والتناظر فى نوع السلاح وقوته .

(٩) المراد بآلات الدواب ما يلزمها من سروج ولجم وغيرها .

الباب الرابع

فى ذكر الحـــــذر

قالوا أول العمل فى الحرب ورأسُ التدبير فيها ألا يظهرَ عدوُّك على عوراتِك ولا تستَتِرَ عنك عوراتُه [1] ، ولن تُحكِمَ ذلك فى نفسك إلا مع شدة الحذر وكتمان السرّ ، ولن تعرفه من عدوك إلا مع التيقظِ والتلطف ، وإذكاءِ العيون [2] والجواسيس .

لا تأنفنّ من الحذر منه فإن ذلك هو العجزُ الظاهر ، وما لا يُستقالُ الخطأ فيه ، وأقوى مكيدةَ المُحارب إظهارُ شدة الحذَر لعدوه فى — (كلّ) — وقت ، ذلك مع تحصين كل عورة ، وإحكامِ كل مصْنعة ، وإذكاءِ العيون ومظاهرة الطلائع [3] والقوة فى الاحتراس . اجعل الحذرَ رأسَ مكيدتك ، فانه قليلٌ ما تكون عورةٌ مع حذر ، أو تضييعٌ مع سوء ظن ، والعورةُ فاعلم موجودة مع الاتكال على القوة ، والركون إلى الاكتفاء بأدنى الحيلة . كنْ فى الحيلة والحذر وسوءِ الظنُ مُعْظِماً لأمرِ عدوك فوقَ قدره ، من غير أن يظهرَ ذلك منك ، أو يصدّكَ عن أحكام شيء من أمرك [4] .

استعدّ لعدوك بأكثرَ من قدره ، فانك إن ألفَيْته صغيراً وقد أعددْتَ له كبيراً لم يضرّكَ — (ذلك) — بل نفَعَك . لا تتولَّنّ أمرَعدوك على الهُوَيْنى بعمل على ترقيق المرقّقين [5] وتصغيرِ المصغرين ، فربما كان فى ذلك بعضُ

---

(1) فى الأصل « عورته » بالإفراد .

(2) العيون هم الجواسيس ، وإذكاؤهم نشرهم فى كل مكان يحتمل وجود العدو فيه .

(3) الطلائع جمع طليعة وهى قوة من الجيش ، ترسل قبله أمامه لتكشف أمر العـدو ، ومظاهرة الطلائع تتابعها وتعاونها .

(4) يعنى بهذا حسن الإعداد للعدو ، وعدم الاستهانة بشأنه عملا بالمثل العربى القائل : « حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة » .

(5) أى لا تستمع لمن يهونون لك أمر عدوك ، ويبرهنون لك على رقة حاله وضعفه .

ما يرجع بالمكروه عليك . لا تأمن مغاورة عدوك أن نأى عنك ولا مواثبته إن دنا منك ، ولا تكمينه [1] إن انكشف لك . لا تدعن معاجلة أمر حزم الخوف قيل وقال فان ذلك لاخير فيه ، وأكثر ما يقال لاضرر فيه . واثب الفرصة إذا أمكنتك[2] فان لها فلتات ، وقلما تعود إذا ضيعت . استعد لكل أمر قبل وقته تسلم من خطره وتجده[3] عند الحاجة إليه .

التثبيط فاعلم رأس كل معجزة[4] فاعرف ذلك من نفسلك ، وراقب مثلها من غيرك ، من غير بادرة تفريط منك ، أو أناة تحل بك[5] .

إذا مثلت لأمرين فاعمد لأشدهما عزماً وأحكمهما حزماً ، ولا تنقض مبرماً من أمرك إلا إلى أوثق مما نقضت .

إحذر التفريط فى الأمور اتكالا على القدر ، فان لكل قدر سبباً يجرى عليه ، فسبب النجح العمل ، وسبب الخيبة التفريط .

الباب الخامس

فى ذكر الإناة والرفق

اطلب الإناة ما استقامت لك ، واقبل العافية ما وهبت لك ، ولاتعجل إلى اللقاء ما وجدت لك إلى الحيلة سبيلا . لا تسأمن مطاولة [6] عدوك ، فان فى الإناة انتظار إمكان فرصة ، وظفراً من عدو بعورة .

---

(١) أى وضع كائنه فى أماكن خافية ، تهاجمك منها من حيث لاتدرى .

(٢) أى لا تضيع الفرصة السانحة ، فكثيراً ما تحقق الفرصة فى الحرب مالا تحققه الخطط المحكمة ، بل قد يهزم القائد المجرب إذا التزم خطته حرفياً وأهمل الفرصة .

(٣) فى الأصل تجده برفع الفعل والمكان يقتضى عجزه جزمه .

(٤) أى أن تخذيل الناس عن الجيش من أهم أسباب عجزه وضعفه .

(٥) تخذيل الأعداء عنك من أهم فنون القتال ، فان تفريق كلمة العدو نصر لك ، وكذلك فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فى غزوة الخندق ، فقد أرسل للأحزاب من خذلهم ، وفرق كلمتهم ، وكذلك فعل خالد بن الوليد فى حرب الفرس بالعراق ، من تخذيل إخوانه عرب بنى شيبان عن الفرس .

(٦) المطاولة المصابرة وعدم العجلة . القاموس .

توقَّ طلبَ الظفرِ باللقاء ما وجدْتَ [1] إلى الحيلةِ سبيلا ، فانه لايكادُ أن يُنالَ من عدوٍّ ذلك إلا بالإخطارِ فى القتل والمصائب والمكاره .

لتكن الرغبةُ منك فى طاعة العدو آثرَ من الغنيمةِ عندك ، ومن كل عرَضٍ من الدنيا يعرِضُ لك . اطلب الظفرَ بالطاعة من عدوك مااستطعْتَ [2] تُصبْ بذلك سلامةَ أصحابك ورعيتك [3] .

اقبل الطاعةَ ممن يعرضُها واكفُفْ عن القتل بعدَ الوثيقة ما استطعْتَ ، فان الرغبةَ عن الدماء هى الغلبةُ المذكورة [4] .

الباب السادس

فى الاستشارة وترك الاستبداد بالرأى

قالوا شاور فيما تحتاجُ إلى المشاورة فيه من مصُونِ أمرك ، ذا الرأيِ والمعرفةِ والثقة والنصيحة من خاصتك وبطانتك .

لا عليك أن تعمَّ بالمشورة فيما لا يُكرَه إظهارُه من أردت أن تخالِطه بعداد ثِقاتك ، وان تستعطفه وتَسُلَّ سخيمتهُ ليحتفلَ لك [5] .

---

(١) فى الأصيل « بما وجدت » والصواب ما ذكر هنا .

(٢) فى الأصيل « تصيب » برفع الفعل والمحل للجزم .

(٣) هذا هو مبدأ (السلامة) المشهور ، والأصل فيه قول الرسول عليه السلام لأصحابه : (لا تمنوا لقاء العدو فعسى أن تبتلوا بهم ، ولكن قولوا : اللهم اكففنا وكف عنا بأسهم ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : « إن الحربَ لايصلحها إلا الرجل المكيث ، الذى يعرف الفرصة والكف . أنظر الكامل لابن الأثير جـ ٢ ص ١٥٠ .

(٤). أى التى تستحق أن يذكرها الناس لصاحبها ، ويعرف بين الناس بها ، فهدف الإسلام كف الظلم عن الناس ، مع الهداية لهم ، والرغبة عن سفك الدماء بقدر الاستطاعة .

(٥) فى الأصل « من يحتفل لك » والسخيمة هى الحقد كما فى القاموس .

إن احتجتَ إلى المشورة فيما يُكره إذاعتُه لأحد ، فاذكرْه بالنظائر والأشباه ، وأجْره في خوض الأحاديث(١) . قد يستغلقُ(٢) الرأيُ في بعض الأمور على الأكابرِ من ذوى الرأيِ ويوجد عند الأمةِ الأعجمية والصبي الصغير ، ولا تدع البحث والتلطف عند ذلك .

الباب السابع

في حفظ السر وصيانته

قالوا ما استطعت أن تحترس في كتمان سرك في حربك فافعل ، فإن في ذلك بإذن الله إمضاءَ تدبيرك ، وقطعَ مكيدةِ من يكيدك .

اكفف لسانك عن فلْتةِ كل منْطق ينكشفُ بها ما تضمره من أمرك ، أو تخفيه من سرك ، واعلم أنه قد يُستدَلُّ بلحنِ المنطقِ على(٣) مصون السرِّ ومكنون الضمير .

لا تستهينن في إظهار سرك بصغيرٍ لصغره ، ولا بأعجمي لعجمته ، فرُبَّ سرٍ مصونٍ قد أذاعوه وأطْلعوا عليه(٤) .

---

(١) المراد بالإشارة إليه بالرمز والتلميح ، وقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق ، فانه لما علم بغدر بني قريظة أرسل من يستوضح أمرهم ، وقال لمن أرسله إذا وجدتم مكروهاً فألحنوا لي لحناً أعرفه ، فلما عادوا بخبر الغدر قالوا له أمام الناس : « عضل والقارة يارسول الله » أي أنهم غدروا كغدر هاتين القبيلتين بالقراء يوم الرجيع المعروف ، فكبر الرسول عليه السلام وقال لأصحابه : أبشروا بنصر الله ، وما عرف أحد منهم حقيقة الحديث .

(٢) استغلاق الرأي خفاؤه وإبهامه ، وهي في الأصل بالعين المهملة .

(٣) لحن المنطق الإشارة الخفية في الكلام .

(٤) كتمان السر من أهم مقاصد القادة في الحروب كلها ، وهو نداء الفطرة وعمل الغريزة : إنما يختلف القادة في أحكامه ويظهر من هذا النص ما كان يحتال له الأعاجم من الاطلاع على الأخبار وإذاعتها ، وقد كثروا في الجيوش العباسية .

الباب الثامن

فى ذكر النصحاء والمتنصحين (١)

قالوا : اقبلِ النصيحةِ من حيثُ أتتك ، واحسِم التّهمةَ من حيثُ رابتْك ، فانه لا يكونُ – (ناصح) – بعيداً ، ولا متّهمٌ قريباً (٢) .

لا تدفعنّ نصيحةَ بعيدٍ ولا تأمننّ تهمةَ قريب ، فقد ينصح المرءُ بعد غش ، ويتنصّحُ وهو غيرُ الظنين (٣) .

اسمع من نصحائك من غير أن تُرِيَ منهم أحداً أنك أخذْتَ بقوله أو ردَدْته عليه .

اسمع من المتنصح (٤) وإن علمتَ أنه لم يقصد بنصيحته لك ، ولاتكسفْه (٥) عن مذهبه ، ولا تعنّفْه على الخطأ فيه .

قرّبِ الناصحَ الشفيقَ فانه لايدعُ النصيحةَ وإن ضرّتْه ورُدّت عليه .

اعرف النصيحةَ من السعاية فقد يشتبهان ويتفقان ، وخذ بالذى هو أنفعُ لك فى حربك وأرضَى لربك (٦) .

الباب التاسع

فى العيون والجواسيس

قالوا : أحكِمْ أمرَ جواسيسك فإنه رأسُ أمر الحرب ، وتدبيرُ مكايدةِ العدو (٧) ، واعلم أنه إن ظفر عدوُّك بأحد منهم فعاقَبَهُ ، دعاه ذلك وغيرَه

---

(١) المتنصح الذى يتشبه بالناصحين وليس منهم . أنظر القاموس المحيط .

(٢) هذا فى الأعم الأغلب ، وقد يغش القريب وينصح الغريب .

(٣) الظنين المتهم فى قوله وفعله . القاموس .

(٤) الذى يدعى أنه ناصح لصاحبه .

(٥) كسفه يكسفه قطعه ، والمذهب الطريق ، فالمعنى لاتقطعه عن طريقه فى الإدلاء بالنصيحة

(٦) يلاحظ هنا التوجيه إلى مراعاة الخالق ، وهذا يشعر بأن حروب العرب لم تكن للبغى والعدوان .

(٧) على القائد الناجح أن يكتم أسراره عن عدوه ، ويحاول أن يجمع من أسراره مايستطيع جمعه ، فبمقدار معرفته قوات عدوه ومدى استعدادها وستر أسراره عن عدوه ، يكون ظفره به أو هزيمته أمامه .

إلى أن يأتوكَ بالأخبار من غير أصولها وعلى غير حقائقها ، فتوَقَّ ذلك عليهم جُهْدَكَ .

لتكنْ عيونُكَ وجواسيسُكَ ممن تثقُ بصدقه ونصيحته ، فإن الظنينَ لاينفعُكَ خبره وإن كان صادقاً ، والمتهمَ عين عليك لالك .

لا تُعرِّفن أحداً من الجواسيس صاحبه ، فإنه لا تُؤمنُ ممالأتُهُمُ العدوَّ وتواطُؤُهم[1] على الغِش ، أو أن يورِّط بعضُهم بعضاً[2] .

توَقَ أن يعرفَ أحدٌ من أهل عسكرك عيونك وجواسيسك ، فيُتحدَّثُ لهم فى المجالس ويُشارُ إليهم بالأصابع .

إن اختلفَ جواسيسُكَ فى الخبر فلا تجعل ذلك ذنباً على أحد منهم فتُفسِدَ عليك أخبارهم ، اختلفوا وكلهم قد صدقك .

إن عثرْتَ على أحد من جواسيسك[3] فاسترْ ذلك ولا تعاقبْه عليه ، واستصلِحْه أو نَحِّه فى لطف[4] .

ذكروا عن بعض الحكماءِ فى الحرب أنه كان يُصيِّرُ جاسوسَ عدوه جاسوساً له ، على أن يصْدقه ويصْدق عنه ، ويُعطيه عن ذلك أكثر مما يعطيه عدوه[5] .

---

(١) فى الأصل « وتواطيهم » بتسهيل الهمزة ورسمها ياء ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك .

(٢) ينصح المؤلف للقائد بأن يجعل على الجواسيس جواسيس آخرين ، يفتشون على أعمالهم بحيث لا يعرف الأوائل الأواخر ، على النحو المعمول به فى الجيوش الحديثة .

(٣) المراد إن وقعت لهم على عثرة أو غلطة ، ولعل كلمة « زلة » ساقطة بعد حرف « على » .

(٤) استصلحه : إعمل على إصلاح أمره وتقريبه ، أو نحه فى لطف أى ابعده عن عمله فى غير عنف فان العنف قد يدعوه إلى التمرد ، والانحياز إلى صف العدو .

(٥) من ذلك أن المسلمين عثروا يوم بدر ببعض عيون قريش فعذبوه ، فنهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وتلطف معه بسؤاله عن قومه حتى عرف منه عددهم بمعرفة ماينحرون من الإبل يومياً .

وفى بعض معارك الشام عثر جنود « عمرو بن العاص » بجاسوس رومى فقتلوه فغضب وقال لهم : هلا أتيتمونى به لأستخبره ، فكم عين تكون علينا ثم ترجع فتصير معنا . أنظر فتوح الشام للواقدى ج ٢ ص ١٠ .

ذكروا عن بعض أهل التجربة فى الحرب أنه كان يستدعى صدق الجواسيس بأن يعطى من أتاه منهم بما يكره، أكثر ممن يأتيه منهم بها يحب.

أنه لايكاد أن يمكنك منعُ[1] عسكرك من جواسيس عدوك، فاحترس منهم بكتمان السر وستر العورة ما استطعت. قد تحتاج فى بعض الأحوال أن يعرف عدوك بعض أمورك. وتدبيرك على حقيقته لما تحاول من مكايدته، فتلطف فى ذلك بإظهاره لجواسيسه، يوصلوه إليه على ما يظهر لهم فيه[2].

تلطف لإخفاء كتبك مع رسلك وجواسيسك بألطف الحيلة، واعلم أن بعض الحيل فى ذلك ألطفُ من بعض. إن لم يمكنك التفرُّد بمعاملة جواسيسك فى ستر، فليكن لكل واحد منهم رجلٌ من أوثق خاصتك ومعاملتك عنده، يتولى إيصاله إليك، ولا يعلمُ بعضُهم ببعض.

الباب العاشر

فى الأمر بتعجيل الأهبة والتعبئة[3]

قالوا: إذا كان العدو منك على خمس مراحل أو نحوها، فلا يكونن مسيرُك ونزولُك إلا على تعبئة.

كان أهل الحزم والتجربة يرون لصاحب الحرب، أن يكون نزولُه ومسيرُه بالتعبئة فى الأمن كما يرونه فى الخوف، إلا أن يدع ذلك عن ضرورة، ويرون ألا يخلو مما تيسر من التعبئة فى الأمن على كل حال.

---

(١) فى الأصل «مع» بدون النون.

(٢) أى أن تظهر له من الأخبار ما يهمه، على أن يكون ترتيبك بخلاف ذلك، كأن تفهمه أن هجومك سيكون من الشرق، فيستعد له، ثم تهجم أنت بقواتك من الغرب، حيث يكون آمناً غير متوقع لهجومك وقد طبق تلك الحيلة القائد المشهور «أبو مسلم الخراسانى» فى حروبه مع الأمويين فهزمهم بها. أنظر الكامل لابن الأثير حوادث سنة ١٣٧ ه.

(٣) التعبئة المقصودة هنا هى صف الجند فى مواقفهم بين الميمنة والميسرة وغيرهما من أجزاء الجيش، ليكون مستعداً للاشتراك فوراً فى أى قتال إذا ألجأته الضرورة إليه.

ذكروا عن بعض أهل الحزم والتجربة ، أنه توجّه من الشام إلى الهند يريد المحاربة بها ، فخندق في أول منزلة بالشام ، ثم لم يزل يسير وينزل بالتعبئة والخنادق ، إلى أن أظفره الله بعدوه .

الباب الحادى عشر

فى تسمية أصول أجزاء التعبئة

قالوا : أصل أجزاء التعبئة ثلاثة : القلب ويسمونه الجمهور ، والميمنة والميسرة ويسمونها الجنبين[1] ، وطرفا كل جزء من هذه الأجزاء جناح وقد يُجزأ من كل جزء منها ثلاثة أجزاء : قلباً وميمنة وميسرة .

وقد يزاد فى النزول والمسير والمصاف واللقاء وغير ذلك ثلاثون صنفاً[2] هذه أسماؤها : السرايا ، والمُبدرِقة[3] والطلائع ، والنوافض[4] والديادبة[5] والرّبايا[6] ، والارصاد[7] والمسالح[8] ، والدّراجات[9] والعُساس[10]

(١) يفهم من هذا أن المؤلف لا يعد المقدمة والمؤخرة من أصول التعبئة وإنما هو يعدها إضافات على الأجزاء الأصلية .

(٢) فى الأصل « ثلثون صفاً » والصف لا يتحقق فى الجواسيس والربايا والعساس وقد ذكر الصنف فيما يلى فانظره .

(٣) الخيل المبدرقة بالدال والذال هى القائمة بالحراسة فالمبدرق الخفير كما فى القاموس .

(٤) النوافض جمع نفيضة وهى الجماعة يرسلون فى الأرض لينظروا هل فيها عدو أو لا ؟ القاموس .

(٥) جمع ديدبان معربة ومعناها الحارس بالنهار ، ويقال لها أيضاً « الديدباذية » .

(٦) الربايا جمع ربيئة وهى الطليعة الفاحصة أمام الجيش .

(٧) الأرصاد جمع رصد بالتحريك وهو الذى يراقب العدو . القاموس .

(٨) المسالح جمع مسلحة وهم الجماعة المسلحون المعدون للقتال .

(٩) فى القاموس أنّ الدراجة هى الدبابة ، والدارج النمام ، فالدراجة هنا الجماعة الذين يلتقطون الأخبار كالعساس .

(١٠) العساس والعسس هم الشرط يطوفون بالليل ، بحثاً عن أهل الريبة . القاموس .

والجواسيس ، والمصّاف[1] ، والساقة ، والمقدمة ، والرِدء[2] والمرتّبة[3] ، والكمين ، والمدد ، والخيل ، المرْتفِعة والخيل المُمِـدّة[4] ، والخيل المانعة ، والخيل المنْتبذة[5] ، والخيل المقوية ، والخيل المترخيّة[6] والخيل المنتخَبة والخيل المحتسبة[7] والخيل الرابطة وخيل الشاكرية ، وخيل الشُّرط ، و يل المقدمة .

وينبغي أن يعرف أجزاء كل صنف من هذه الثلاثين صنفاً ، ومواضعها التى توضع بها ، ووجوهها التى تنفذ فيها ، وأعمالها التى تندب[8] لها على حسب الحاجة إلى ذلك وألا مكان فيه ، وسنذكر جملة — (ذلك) — فى موضعه إن شاء الله تعالى .

---

(١) المصاف جمع مصف وهو موضع الصف . القاموس .

(٢) الردء بالكسر العون ، والجماعة يستعان بهم .

(٣) الجماعة التى تكلف مراقبة العدو من فوق الرتب وهو المرتفع من الأرض . القاموس .

(٤) المراد بالخيل هنا الفرسان ، والخيل المرتفعة ، الواقفة للحراسة على مسافات متباعدة ، وفى القاموس رفعهم ترفيعاً باعد بينهم فى الحرب والخيل الممدة المهيأة لأن تطلب المدد ، وهى فى الأصل « الممدودة » والصواب ما ذكر هنا .

(٥) أى التى تقف بعيداً عن الصفوف لمفاجأة العدو ، ومنه قوله تعالى : « فانتبذت من أهلها مكاناً قصياً » .

(٦) التى لا تطلب على الفور ، من تراخى عن القتال تأخر عنه ، وعملها نهب الأعداء بعد كسرهم . أنظر الباب ٢٢ من هذا الكتاب .

(٧) المحتسبة بالبناء المفعول التى احتسبها أصحابها للجهاد فى سبيل الله يرجون وجهه ، ويحتمل أن تكون المحتسبة بالبناء للفاعل ، أى الخاصة برجال الحسبة وكانوا يلازمون الجيش كالشرطة — أنظر الباب ٢٣ من هذا الكتاب وكتاب المخصص .

(٨) ندبه للشيء دعاه له وحثه عليه ، فانتدب له أى أجاب الدعاء .

الباب الثانى عشر

فى تسمية الجيوش ومادونهم ومبلغ عددهم

قالوا : السرايا ما بين الثلاثمائة نفر إلى الخمسمائة [1] ، وهى التى تخرج بالليل ، واما التى تخرج بالنهار فتسمى السوارب [2] ، وما زاد على الخمس مئة [3] فهو جيش إلى دون الثمان مئة فهى [4] المياشر وما بلغ الثمان مئة فهو جيش ، وأقل الجيوش ، وما زاد على الثمان مئة إلى الألف فهو الحسحاس [5] وما بلغ الألف فهو الجيش [6] الأزلم وما بلغ أربعة آلاف فهو الجيش الجحفل وما بلغ إثنا عشر ألفاً فهو الجيش الجرار.

وإذا افترقت السرايا والسوارب بعد خروجها فما كان منها دون الأربعين فهو الجرائد [7] ، وما كان منها من الأربعين إلى دون الثلاث مئة فهى المقانب [8] وما كان منها من الثلاث مئة إلى دون الخمس مائة فهى الجمرات [9] ، وكانوا

---

(١) العبارة فى الأصل هكذا « ما بين الثلاث نفر إلى الخمس المائة » بحذف التاء من العدد الأول ، وفى القاموس أن النفر من الرجال مادون العشرة فالإضافة هنا كما فى قوله تعالى : « كان فى المدينة تسعة رهط » .

(٢) يوضح ذلك قوله تعالى : « ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » سورة الرعد آية ١ .

(٣) فى الأصل « الخمس المائة » .

(٤) كذا بالأصل وهو تصحيف لكلمة « المناسر » جمع منسر كمجلس أو كمنبر وهو قطعة من الجند تمر قدام الجيش الكثير . القاموس المخصص .

(٥) أى الجيش المبيد المهلك وهى السيف أصلا . أنظر القاموس والمخصص .

(٦) الأزلم الذى يقطع أعداءه .

(٧) الجرائد جمع جريدة ، وهى خيل لا رجالة فيها . المخصص والقاموس .

(٨) المقانب جمع مقنب وهو ما قارب الثلاث مئة من الخيل . المخصص .

(٩) الجمرة كما فى القاموس ألف فارس ، وهى فى الأصل « الجمرات » . والجمرة القبيلة التى فيها ثلاث مئة فارس ولكن العدد الذى ذكره المؤلف هو الذى كان معروفاً فى عصره .

يسمون الأربعين رجلا إذا وجهوا العصبةَ (١) ، ويقولون : خير السراية أربعمائة ، وخير الجيوش أربعة آلاف ، ولن تقرّ إثنا عشر من قلة .

الباب الثالث عشر

فى التحرز عند الترحل وفى المسير

قالوا : إذا أردت الرحيل من منزل إلى منزل ، فقدِّمْ بعض طلائعك ونوافضِك وصاحبَ مقدمتك ، ومُرْ بعضَ من تُوجِّه من الطلائع أن ينصرفَ إليك من المنزل يتلقاك بنزول صاحب مقدمتك ، ولا تُتمّ (٢) إلى المنزلِ حتى يتلقاك بذلك ، ومُرْ بعضَهم يتجاوز المنزل إلى حيث رأيت ، أن يكون منصرفُهم بخبرهم إليه .

إجعل رجلا من أهل الصَّرامةِ (٣) فى قوة من أصحابك أمام عسكرك دون طلائعِك مع الفعلة ، لإصلاح الطرقِ وقطع الشجر ، وإقامة الجسور والمعابر ، وحفر الآبار وتنقيتها وما أشبه ذلك .

ليكنْ خلفَ ساقتك رجلٌ جلْد فى قوة من أصحابه ، يحشرُ الجندَ إليك ويُلحِقهم بك ، ولا يُرخِّصُ لأحد منهم فى التخلف عنك (٤) .

لا تأذنن فى الترحل (٥) حتى يقفَ صاحبُ تعبئتك بأصحابه فى نواحى العسكر عليهم أسلحتهم ، ثم مُرِ الناسَ بالترحل وخيلك واقفة ، حتى إذا استقلوا ساروا على التعبئة ، بعد تعريفك كلَّ قائدٍ — وواليَ جندٍ وخيل ،

---

(١) العصبة تكون من الفرسان والرجالة . القاموس .

(٢) كذا بالأصل ولعلها تم من أتم إذا دنا من الشيء . القاموس .

(٣) الصرامة الحزم والشدة .

(٤) يحشر الجند أى يسوقهم إليك فلا يتخلف منهم أحد ، وكان المكلف بذلك العمل يسمى « الحاشر » وكانت وظيفته معروفة فى الجيش الإسلامى منذ الدولة الأموية .

(٥) الترحل الانتقال من مكان إلى مكان .

وصاحبَ عمل ما يعملُ به فى مسيره ويقف عليه ، حسَبَ الحاجة إليه والإمكان فيه .

الباب الرابع عشر

فى التعبئة عند وقوع الخوف فى المسير (١)

قالوا : إذا كان الخوفُ فى المسيرِ أمامَ العسكر ، فليسرْ نصفُ الميسرة أمام الصفوف ، ونصف الميمنة بالأثر ، ثم القلب بالأثر ، ثم نصف الميسرة بالأثر ثم نصف الميمنة بالأثر .

إذا كان الخوفُ فى المسير مما يلى الميمنةَ ، فلتسر الميمنة أمام الصفوف ، ثم القلب ثم الميسرة .

إذا كان الخوف فى المسير مما يلى الميسرة ، فلتسر الميسرة أمام الصفوف ، ثم القلب ثم الميمنة .

إذا لم يعرَف الخوفُ فى المسير من أى نواحى العسكر هو فليُبثّ (٢) النوافض والطلائعَ فى أرباع نواحى العسكر ، والناس على مراتبهم ومراكزهم ، وصاحب الجيش فى وسط القلب والأثقال (٣) والأسواق — والجماعات فى خيل كثيفة خلف الصفوف :

---

(١) المقصود بوقوع الخوف توقعه وانتظاره ، والنصائح الآتية تدل على ما كان يتسم به العرب من الحيطة والحذر فى تحركاتهم ، وبخاصة فى أوقات الحرب وميادينها .

(٢) بث النوافض والطلائع تفريقها على أجزاء العسكر الأربعة ، وهى فى الأصل « فليثبّ » والصواب ما ذكر هنا .

(٣) الأثقال أمتعة الجند ، وأدوات الحفر وتسوية الطرق ، وأسلحة الحصار الثقيلة .

الباب الخامس عشر

فى التحرز عند النزول والمقام

قالوا : لاتنزلنَّ من عدوك منزلا أبداً حتى تعرّفه ، وارْتدْهُ ذا ماء ومُحتطبٍ وكلاء[1] ومرْتفق ، بحيثُ[2] إن أردتَ أن تتقدم منه إلى عدوكَ قدرتَ على ذلك ، وإن أردتَ التأخرَ عنه أمكنك ذلك ، وتحرّ أن تُسندَ ظهورَ أصحابك إلى الجبال والتلول والأنهار وما أشبهها ، من كل موضع تأمنُ منه الكمينَ والبيات[3] .

إذا انتهيتَ إلى المنزل فليقفْ صاحبُ تعبئتك فى خيله متنحياً عن العسكر ، حتى ينزلَ الناسُ وتوضعَ الأثقال ، ويأتيك خبرُ طلائعك الذين جاوزا المنزل وتُخرجَ ربایاك من عسكرك .

ضع عسكرك[4] على تقدير من طرقه ومواضع أهله ، وليكنْ لكل شىء مما فيه موضع لايجاوزه إلى غيره ، ليعرفَ كل صنفٍ من الناس منازلهم ومراكزهم فى كل نزولهم ومسيرهم ، حتى لو ضلت دابة مكانها رجعتْ إليه إليه هدايةً ومعرفة به .

أقم مصافَّ[5] عسكرك بالرجالة والقنا المتراصف[6] ، واتخذ له بروجاً — (فى) — كل برج سبعة رجال . أو كما رأيت[7] .

---

(١) الكلاء بالكسر الحراسة ، ويحتمل أن تكون الكلمة « وكلأ » وهو العشب سواء أكان أخضر أم يابساً . القاموس .

(٢) فى الأصل « وحيث » والصواب ما أثبت هنا .

(٣) البيات الهجوم على الجند ليلا وهم بائتون . وهذه النصيحة توجه القائد إلى استغلال طبيعة الارض والانتفاع بها فى حماية قواته وتحقيق مبدأ السلامة لهم .

(٤) المراد بالعسكر هنا الجند الذين يحطون خيامهم عارفين لطرقهم ومنازل نسائهم لدوام الاتصال بينهم .

(٥) المصاف جمع مصف وهو موضع الصف . القاموس .

(٦) القنا المتراصف : الرماح المضموم بعضها إلى بعض ، والمراد جعل المواقع حول العسكر مسلحة بالرماح لمنع الهجوم.

(٧) فى الأصل « كم رأيتَ » .

لاتدعْ بناءَ سور الحسك (١) الحسنى مع المصاف ، إن خفْتَ المغاورة أو البيات .

لاتغفل عن ضرب الخنادق فى موضع الحاجة إليها : خندقاً للصناع والعُدّة ، وخندقاً للأسواق والأتباع ، وخندقاً لك ولسائر الناس أو على من تُقدِّره ، واحشُها خيلا ورجالا .

بُثّ الطلائعَ من معسكرك بالنهار فى الطرق والمواضع المخوفة وصير النوافضَ بدلا منهم بالليل .

أقم الربايا بالنهار فرساناً خارجاً عن عسكرك ، حوله على المُشرفاتَ والمضايق من أبواب الأرض(٢) ، ولينصرفوا مع وجوب الشمس .

أقم مسالح العلاقات(٣) فى مواضعها ولينصرفوا مع المتعلفين .

أقم مسالح المراعى (٤) فى مواضعها ولينصرفوا مع رد الدواب من المراعى .

أقم الحراس بالليل رجالة حول عسكرك مع كل برج من المصاف ، وليرفعوا بتحرسهم أصواتهم .

أقم الدراجة (٥) بالليل فرساناً من وراء الحرس غير بعيد ، يتردد كل جوق(٦) منهم فى حده ، ويرفعون أصواتهم بالتهليل والتكبير .

---

(١) الحسك نبات صحراوى تعلق ثمرته بصوف الغنم ، ورقه كورق الرجلة وأدق ، وعند درقه شوك صلب ذو ثلاث شعب ، تعمل على مثاله أداة الحرب من حديد أو قصب فيلقى حول العسكر (القاموس) وقد استخدمه الرسول عليه السلام فى حروبه ، ومنه أخذت فكرة الأسلاك الشائكة . أنظر الفن الحربى فى صدر الإسلام « للناشر » .

(٢) أفواه المسالك التى يحتمل اقتراب العدو منها أو هى الطرق العامة .

(٣) العليقة والعلوفة الناقة أو الشاة أو الحصان ، تعلفها ولا ترسلها للمرعى والمعنى إقامة الحراس لهذه العلافات طول النهار حتى نهايته . المخصص .

(٤) مسالح المراعى : حراس الحيوان التى ترسل للمراعى ولا تربط للعلف .

(٥) الحراس يكونون مشاة والدراجة فرساناً ، لان دائرة حراستهم أوسع مدى من حراس المراعى أو العسكر . (٦) الجوق الجماعة معربة ، والمراد يجول كل جماعة فى القطاع المخصص لهم .

أقم الأعساس بالليل على قدر نصف غلوَة [1] من المعسكر يدُورون به وهمْ سكوت .

الباب السادس عشر

فى اختيار موضع المصاف للقاء الزحف

قالوا : احرص على أن تسندَ ظهورَ أصحابك فى مصاف اللقاء إلى الموضع الذى تأمن أخذَ العدو منه[2] ، وخروج الكمين عليه . إحرص أن يكون موضعُ القلب على جبل أو شرَفٍ ، وما أشبه ذلك من أرض صُلبة غير ذات خبارٍ أو غُبار[3] ، فان لم يمكنك ذلك فليكن موقفك من القلب على موضع تشرف منه على الزحفين ، لتعاين ما ينبغى أن تدبره فى أصحابك وعدوك ، من اهتبال فرصة وسد خللٍ وغير ذلك ، إن لم يكن من اللقاء بُد ، والقلب فى خفضٍ من الأرض بحيث لا تتبين منه الزحفين[4] ، فخلِّف خليفتاك فى القلب ثم امض فى حُماتك المنتخبة إلى الميمنة مما يلى جناح القلب ، فان وجدت هناك مستشرفاً أشرفت منه ، وإن لم تجده هناك سلبته فى ناحية الميسرة ، فان لم تجده وأمكنك أن تصيبَ لك فى القلب شيئاً تعلو عليه لتشرفَ [5] منه إذا أردت ذلك فافعل .

توخّ أن تكون الريح والشمسُ من وراء ظهرك ، فان لم يمكنك ذلك فاحرص على أخذِ الريح [6] بكل حيلة ، فان امتنع ذلك فتنكب استقبالها

---

(١) الغلوة رمية سهم معروفة ، وجمعها (غلاء) وغلوات ، ويمتاز العسس عن الحراس والدراجة أنهم يحاولون ستر مكانهم عن غيرهم ، ولا يرفعون أصواتهم كغيرهم .

(٢) فى الأصل « به » والمعنى أسند ظهر جنده إلى موضع يأمن هجوم العدو منه .

(٣) الخبار كسحاب ما لان من الأرض واسترخى ، والمراد أن يكون الجند على أرض ثابتة ، ليست بذات طين يعوق الحركة ويعطل الجيش ، ولا غبار يضايق الأنفاس والناس .

(٤) المقصود بالزحفين الجيشان المتزاحفان فى الميدان .

(٥) أى تتطلع منه كسلم أو جمل أو غير ذلك .

(٦) أى احرص على أن تنحرف بقواتك فى مواقفهم ، بحيث لا يواجهون هبوب الريح فتؤذى عيونهم برمالها ، وببريق سلاح العدو فيها .

واطلب أن يكون مجـراها من طرف ميمنيتك إلى ميسرة عدوة (1) ، فان لم يمكنك ذلك بالإجماع على أخذها من العدو — (فكن) — بمنزلة الظمآن يكابر على الماء بأشدّ اجتهاد ، فان لم يمكنْكَ ذلك فاحرص على انحرافها ليأخذَ العدوُّ منها بنصيبه ، فان لم يمكن استقبالُها وأنت فى المصاف فاحرص على ترك اللقاءَ فى تلك الساعة وذلك اليوم ، فان لم يمكن (2) ذلك وألح العدو عليك والريحُ مشـتدة ، فليترجَّلْ فرسـانُكَ ويقاتلوا رجّالة مع رجالتك ، متراصفين كأنهم رجل واحد ، وليتمسكوا بمواضعهم ، ويردُوا (3) العدو عن التورُّد عليهم .

يُترَكُ فيما بين جناحى القلب والميمنة والميسرة طريقان واسعان لمر الخيل وأصحاب المبارزة . يترك بين الصفوف فرجةٌ عند صاحب الميمنة وفرجةٌ عند صاحب الميسرة ، وفرجة عند صاحب القلب فى مؤخرهم — (فيها) — مواضع الصلاة ، ويُوكّلُ بها رجالا فى عُدّة من السلاح .

الباب السابع عشر

فى ذكر أشكال الصفوف للقاء

قالوا : الصف المستوى مستحب ، وهو فى جملته أوفق الصفوف .

الصف الهلالى وهو الخارجُ الجناحين الداخلُ الصدر أوثق للقلب وهو للجناحين (4) أضعف ، وكانوا إذا كان ذلك صيّروا مع كل طرَف من الجناحين الخارجين كردوساً (5) من الخيل المقوية ، يكون وقاية لها .

(1) لأن هبوب الريح على عدوك يعد مساعداً لك عليه .

(2) هى فى الأصل « مكن » بلا نقط .

(3) فى الأصل « ويرد » ومعنى التورد عليهم الإشراف عليهم والدخول بينهم . القاموس .

(4) لمعرفة هذه الصفوف وأشكالها ، من الرسوم التوضيحية ، يحسن أن ترجع إلى كتاب « الفن الحربى فى صدر الإسلام » للناشر ص ٢٤٢ وما بعدها .

(5) الكردوس الجماعة من الخيل فوق المائة ، والاسم فارسى الأصل .

الصف المعطوف وهو الداخل الجناحين الخارج الصدر مكروه ، ولا يكون إلا عن ضرورة وهو ضعف على القلب وقوة للجناحين ، وكانوا إذا كان ذلك صيروا أهلَ البأس والنجدةِ ميمنةً وميسرة ؛ ليكون أشدّ للقلب ، أو قوّوا القلبَ بكردسين من الخيلِ المقوية ، يكونان مما يلى طرفيه أمامه قليلا .

كانوا يحبون فى التعبئة التّراصفَ(١) وانضمامَ بعضهم إلى بعض مع استواء الصفوف .

الباب الثامن عشر

فى تعبئة العدد القليل للحرب

قالوا : أقل من ينبغى أن يلقى الحربَ تسعةُ نفر ، ليكون للقلب قلب وميمنة وميسرة (٢) ، وكذلك يكون للميمنة ويكون للميسرة على . التمام وقد يجوز أن يلقى — (الحروب) — سبعة نفر ، فان ميسرة الميمنة تجتزئ بعمل ميمنة القلب وتكون لها ميسرةً ، وأن ميمنة الميسرة تجتزئ (٣) بعمل ميسرة القلب وتكون لها ميمنة .

ويجوز أن يلقى خمسةُ نفَر ، فان القلبَ يعمل عمله ، ويعمل عمل الميمنةِ مع ميمنته وعملَ الميسرة مع ميسرته .

ويجوز أن يلقى ثلاثةُ نفر ، فيعمل كل واحد منهم عمل قلبه وميمنته وميسرته ، وإن لم يلق الحرب إلا لرجل واحد فليصير نفسه ثلاثة أجزاء على أصل التجربة(٤) : قلباً وميمنة وميسرة .

---

(١) التّراصف انضمام الصفوف وهو عائق لحركة الجند وحاد لحريتهم مالم يكونوا متباعدين نوعاً .

(٢) فيكون فى القلب ثلاثة أفراد : أحدهم ميمنة وثانيهم ميسرة وثالثهم قلب ، وكذلك تكون الميمنة والميسرة .

(٣) معنى الاجتزاء الاكتفاء كما بالقاموس ، وهى فى الأصل « يجترى » .

(٤) هذه مبالغة فى التقسيم أدت إليها القسمة العقلية التى هى إحدى نتائج البحث الفلسفى الذى شاع فى العصر العباسى .

وإن لم يلق الحربَ إلا اثنان فليصرْ أحدُهما فى ظهر الآخر ردْءاً له .
وإن لم يلق الحربَ إلا أربعةُ نفر فليصر أحدهم منتبذاً [1] .
وإن لم يلق الحرب إلا ستةُ نفر فليصر أحدهم كميناً .
وإن لم يلق الحرب إلا ثمانية فلبصر أحدهم مترفعاً .

الباب التاسع عشر

فى تسمية الأحيان الخمسة

قالوا : التعبئة الخمسيَّة [2] هى هذه ، وهى لتعبئةِ الزحف الأعظم :
الحيْن الأول [3] هو القلب والميمنة والميسرة ، مع من يدخل فيهم من ولاة الأعمال وغيرهم ، ممن يحتاجُ صاحبُ الجيش إلى قوته .

الحيْن الثانى من وراء الأول وهو ثلاثة أجزاء : من وراء القلب والميمنة والميسرة ، ويسمى ردء القلب .

الحين الثالث من وراء الثانى ، وهو الأثقال مع من يدخل فيها من أصناف الناس . الحين الرابع من وراء الثالث وهو ردء الأثقال . الحين الخامس وهو الساقة المستدبِرونَ لأصحابهم بظهورهم مما يليهم .

الباب العشرون

فيمن يوضع من الفرسان فى كل حيْن [4] من الأحيان الخمسة

قالوا : ليوضَعْ أهلُ التجاربِ والبأسِ والنجدة ، والقوة الظاهرة فى القلب أمام الصفوف ، وأهل التجارب وأصحابُ الرمى والطراد والمشاولة

(١) أى يقف بعيداً للحراسة ، ليتألف من الثلاثة الباقين قلب وميمنة وميسرة .
(٢) فى الأصل « التعبئة الخمسة » بتذكير العدد .
(٣) المراد بالحين هنا الخط الحربى المؤلف من قلب وميمنة وميسرة .
(٤) هى فى الأصل « فى حين » بدون كل .

والمبارزة وطلاب الكرّ [1] فى الميمنة أمام الصفوف ، وأهل التجارب والحيل والمصابرة بحيث يُحتاج إلى الكثرة من ردْء القلب ، وأهل التجارب والمعرفة بموضع المعركة والكمين ، والظفر والهزيمة ، وتشجيع أصحابهم مع سرعة الإجابة لهم فى رده القلب ، وكل رَذْلٍ وضعيفٍ وحاسرٍ [2] من الجند خلف الأثقال ، مما يلى ردء الأثقال .

الباب الحادى والعشرون

فيمن يوضع من الأصناف فى مواضعهم من الأحيان الخمسة

قالوا : صَيِّر الرجالة أمام ، حيال الخيل وأمامها صفوفاً وأصنافاً على ما يرى عرفاً ، الرجالة مع رجالتهم فى الصفوف متوسطين لهم .

صاحب الجيش فى حُماتـه وثقاته المنتخبة أمام فرسان القلب .

صاحب القلب مع من يليه من وراء صاحب الجيش ردءاً له فى القلب .

صاحب الميمنة فى حُماته وثقاته أمام الفرسان لقلب الميمنة .

صاحب الميسرة فى حماته وثقاته أمام فرسان قلب الميسرة . أصحاب أعلام القلب والميمنة والميسرة أول الفرسان أمام فرسانهم . صاحب الحرس [3] مع حرسين ، وكاتب الرسائل مع خادمين من خصيان الخاصة [4] ، وصاحب الخدم الخاصة مع خادمين منهم ، والوزير مع عدة من ثِقاته وثِقاتِ صاحب الجيش عن يمين صاحب الجيش ، وبقربه صاحبُ البند [5] وصاحبُ اللواء والمؤذنون والمكبرون والمذكرون [6] ، وأصحـاب الطبول والقرون [7]

---

(١) فى الأصل « طلاب النكر » بالنون .

(٢) الحاسر الذى لا يلبس درعاً ولا مغفراً ، وهى فى الأصل « جاسر » بالجيم .

(٣) صاحب الحرس رئيسهم المكلف بهم ، وكذا لكل طائفة صاحب .

(٤) الخاصة ضد العامة ، كالوزراء والقواد ، والخصيان خدم النساء جمع خصى .

(٥) البند العلم الكبير للقائد واللواء رمز الجيش كله . أنظر « الفن الحربى فى صدر الإسلام » .

(٦) المذكرون هم القراء والقصاص الذين كانوا يتوسطون الصفوف ، ليزهدوا الجند فى الدنيا ، ويرغبوهم فى نعيم الآخرة . أنظر الكامل لابن الأثير (٧) القرون الأبواق التى ينفخ فيها .

والعارض [1] والمعطى ، وصاحب الخراج والقاضى وصاحب المظالم فى قلب القلب . رأس أصحاب الأعلام ، وصاحبُ الشرطة ، ورأس أصحاب الحراب . والرابطة ، وصاحب الطرق ، وصاحبُ الشعاوذة [2] ، وصاحب البريد فى ميمنة القلب . الحاجبُ والبوابون ، وأصحاب الجنائب[3] وأصحاب الجُمَّازات[4] وأصحابُ السلاح فى ميسرة القلب .

الطلائعُ والجواسيس والفيوج والحورا [5] ورأس الفعلة فى ميمنة الميمنة وصاحب الشاكرية وصاحب السروج فى ميسرة الميمنة وأصحاب المراكب والكتاب فى ميمنة الميسرة . الكتاب والصناع والحراس والسلاح وأصحاب البزاة [6] والأطباء والفعلة والتجار ، والخلط والرّعاع فى الأثقال حيث يُؤمرون . الخدم والوكلاء والعامة فى الأثقال نصف فى الميمنة ونصف فى الميسرة. الاصطبلاتُ مع الأثقال فى مؤخرها ، نصف فى الميمنة ونصف فى الميسرة .

الحرمُ [7] والخدم والحراس فى وسط الأثقال . الأشراف وأبناء القواد ومن أشبههم والعمالُ والوجوه وطلاب الحوائج حيث يؤمرون . إن كانت معهم فيلة صيّرَ — (القائدُ) — نصفها فى طرفى الميمنَة ، ونصفها فى طرفى الميسرة خارجاً من الصفوف .

---

(١) العارض الذى يعرض الجند بخيلهم وسلاحهم للتفتيش عليهم . أنظر المخصص .

(٢) الشعاوذة جمع شعوذى وهو رسول الأمراء على البريد . القاموس .

(٣) الجنائب الخيل التى تركت لراحتها .

(٤) الجمازات الحمير الوثابة السريعة .

(٥) الفيوج جمع فيج وهو معربّ بيك . أو هى الجماعة من الناس . القاموس . والحوار زائدة فى السياق .

(٦) البزاة جمع بازى وهو ضرب من الصقور ، ويبدو أنها كانت تقوم بعمل معروف فى الجيش ، والشاكرية الأجراء المرتزقة .

(٧) الحرم جمع حريم وهم النساء .

الباب الثانى والعشرون

فى وضع الخيل المعدة مواضعها من الأحيان الخمسة

قالوا . لتكنْ خيلُ النوافضِ والطلائع على مراتبها[1] ، للأخذ بالجبال والمقالـــع والغياضِ[2] التى بالقرب ، لقطع المادة عن العدو ونفى كمينهم عن العسكر .

يوقف كردوس من الخيل المانعة فى طرفىْ جناحىِ الميمنة والميسرة الخارجين ، يمنعان من أراد أن يجوز من العدو إلى ناحية الأثقال ، لنقضِ الصفوف أو الحيلة على أحد منهم

يوقف كردوس من الخيل المنتبِذَة ناحيةً عن المصاف لافتراصِ غِرّةِ العدو [3] ، وسدّ خلل إن كانَ عند الجولة .

توقف خيل مُمِدة [4] يُستظهر بها فان احتيج إلى المدد أمِدّ منهم . تُهيّأ خيل من المترفّعة ، فان احتيج إلى حركتهم لنقض تعبئة العدو ومصافهم ، تحركوا إليهم عن عُرْض على قدر الحاجة إلى ذلك وتوَجُّه العمل فيه .

يوضع الكمينُ موضعه إن وَجد – (القائد) – له موضعاً ، ليخرجوا على العدو فى موضع الفرصة[5] أو الحاجة إلى ذلك .

يوقف كردوس من الخيل المترخية قربَ ظهر الميمنة ، فان توجَّهَ الظفرُ بنصر الله على العدو ، قصدوا لأخذ عسكرهم [6] ليس لهم عمل غيره ، لئلا يكون للجند عند ذلك عمل إلا ركوبُ عدوهم والإلحاحُ عليهم .

---

(١) أى قائمة فى أماكنها المعدة لها .

(٢) المقالع هى المنخفضات ذات القلاع ، وهو الطين الذى نضب عنه الماء فتشقق ، والغياض جمع غيضة وهى مجتمع الشجر فى مغيض الماء أى المستنقعات ، والمراد أن يراقبَ الفرسان تلك النواحى خشية أن يقترب العدو من إحداها خفية .

(٣) افتراص غرة العدو انتهاز فرصة غفلته عن بعض شئونه الخاصة به .

(٤) فى الأصل « ممتدة » والصواب ما ذكر بالمتن .

(٥) المراد بموضع الفرصة وقتها ومكانها على السواء .

(٦) أخذ العسكر الاستيلاء على ما فيه ، وفى الأصل « وقصدوا » ولا معنى للواو هنا .

الباب الثالث والعشرون

فى الحركة عند ترائى[1] العدو فى الزحف للقاء

قالوا : إذا زحف العدو وتراءى ، وأتت عيونُ الطلائع بخبرهم ، فلْتفزَع خيلُ القلب والروابطِ ورجالتُها إلى مضرب والى الجيش ، وسائرُ الناس إلى مراكزهم ، إلى أن يتحرك والى[2] الجيش فيتحركوا معه على تعبئتهم .

المكبرون وأصحاب الطبول يكبرون ويضربون فى الوقت الذى يؤمرون به ويُحتاج إلى ذلك فيه .

أصحاب الأعلام والبنود يلزمون مراكزهم بأعلامهم وبنودهم مستوية إلى وقت الحاجة إلى حركتهم .

القواد يقيمون مع فرسانهم وأعلامهم فى مراكزهم ، حتى يفرغوا مما يحتاجون إليه ، ويُحتاج إلى حركتهم .

إن تحرك والى الجيش نحو العدو وقد تراءى له ، فليقدّم البندَ الأعظم[3] واللواءَ بين يديه فى جماعة من خيل الروابط والشرط والمحتسبة[4] مع الرجالة ، وليتحركِ الناسُ مع قوادهم وولاتهم على راياتهم وأعلامهم وألويتهم[5] وتعبئاتهم . محتشدين معاً على رِسْلهم بركانة واجتماع والتفاف[6] ، غير مبادرين ولا منتشرين ولا فائت بعضُهم بعضاً .

---

(١) فى الأصل « ترامى العدو » والصواب ما بالمتن .

(٢) المراد بالمضرب سرادق القائد العام للجيش كله .

(٣) البند الأعظم واللواء مع قائد الجيش ، أما الأعلام والرايات فهى رمز للقبائل والوحدات المختلفة . أنظر الفن الحربى فى صدر الإسلام الناشر .

(٤) فرقة المحتسبة القائمة بوظيفة الحسبة فى الجيش ، كما تقول الرجالة والنشابة .

(٥) ذكرت الألوية مع الرايات من باب الترادف اللفظى .

(٦) الركانة والركونة الرزانة والهدوء ، والإلتفاف الاتصال والانضمام ، وهى فى الأصل « التفات » بالتاء وهو خطأ .

الباب الرابع والعشرون

فى العمل عند التقاء الزحفين

قالوا : إن لم يكن من اللقاء بُدٌّ فأخرْه ما استطعت إلى آخر النهار (١) .
إلا أن ترى فرصةً قبل ذلك فتنْهزها ، واعلم أنك إنما تملك أمرَك وأصحابك ما لم تلتفّ الخيلُ بالخيل .

ليكن أولَ من يلقى أهلُ التجارب والمراس ، فانهم يلقون بجد وصبر ومعرفة ، وهم قبل اللقاء أشدُّ هيبة ، وأبعدُ من التسرع والخفة ممن لا تجربة له .

لا يُخلّى الأغمارُ (٢) عند اللقاء من أن يكون معهم بعضُ أهل التجربة ، فإن نشاطَ الأغمار قبل اللقاء أشد ، والشّدةُ الأولى منهم أصدق ، والصبرُ منهم بعدَه قليل ، فقدِّم الرجالةَ الناشبةَ فيرشقوا (٣) فى وجوهم ، ويناوشُ الخيلان من الحاشيتين ، ولا يتحرك القلب إن تحرك إلا من ناحية الميمنة والبند الأعظم .

تحمل الخيل المخفّفةُ (٤) ، وينضجُ الرجالة الناشبة من كلا الطرفين ، ويحمل — (الفرسان) — على الجنبتين فان بلغوا حاجتهم منهم حملتْ خيلُ الشرط ورَجّالتها .

عمل الميمنة أن يبدؤوا بالحملة على ميسرة عدوِّهم ليغلبوهم على العسكر أو يزيلوهم عن مراكزهم .

عمل القلب أن يُمدّ مجنبتيه ولا يتحرك إلا فى اتباع عدوه إذا ولى ، أو لدفعه إذا أقبل .

---

(١) تلك كانت عادة العرب فى حروبهم ، اقتداء بعمل الرسول عليه السلام . الكامل لابن الأثير .

(٢) الأغمار هم عامة الناس الذين لم يجربوا الأمور — القاموس .

(٣) أى يرموا فى وجه عدوهم بالسهام التى هى النشاب .

(٤) العبارة فى الأصل هكذا : « تحمل الخيل المخففة » وينصح الرجالة الناشبة من كلى الطرفين بإهمال النقط دائماً ، والصواب ما ذكر بالمتن .

عمل الميسرة أن يقفوا بمكانهم ويمنعوا من الدخول عليهم ، ولا يدفعوا أرضهم ، وليس عليهم أن يحملوا ما وجدوا من ذلك بداً .

المبارزة على أصحاب الميمنة والقلب ، ولا يبارز من الميسرة — إن بارز إلا من كان أيسر .

إن بدأ تم بالحملة فثبتَ لكم العدوُّ فليس إلا الجد والمصابرة فان اضطُرِرْتم إلى الرجوعَ إلى مواقفكم فأحسنوا الرجْعة لئلا تصيرَ هزيمة .

إن احتاج القلب إلى الحركة فليدْنوا على الهوينى معاً بلا ركض ولا عجلة ، فاذا بلغوا من العدو حاجتهم وقف صاحب الجيش مع أصحابه وانصرف أصحاب المبارَزَة إلى مواقفهم .

رجْعةُ القلبِ بعد الحملة بأجمعهم إن احتاجوا إلى الرجعة القهقرى ، انحرافاً وانحيازاً وازوراراً (١) بالنظر والمناكب والرءوس ، ولْيكنِ الصدرُ مواجَهـَة ، وليتكلموا بالشكر لله والدعاءَ بالظفر ، والتحضيض يُسْمِعونه أصحابهم .

من حمل من القلب فانتهر ثم رجع ، فليعطف — متياسراً إلى الميسرة ، أو إلى ما بين جناح القلب والميسرة .

عطف الميمنة إذا حملت بأجمعها هو إلى القلب ، أو يرجعوا (٢) القهقرى إلى مواضعهم .

من حمل من الميمنة فانتهر من عدوه ، فليعطف متياسراً قِبَلَ القلب ، أو إلى ما بين جناح القلب والميمنة .

من حمل من الميسرة فانتهر ، فأنما عطفه متياسراً إلى الفضاء .

عطف الأيسر من الميسرة بعد الحملة إلى نحو القلب أيْسرُ منه على الأيمن.

---

(١) أى ميلا إلى العدو مع الرجوع بجانب الجسم ولحظ العدو بالنظر الشزر .

(٢) فى الأصل « أو يراجعوا » والعطف رجوع الفارس إلى موقفه بعد حملته على العدو.

إن دخلت ميمنةُ العدو على الميسرة فليس لأحد منهم أن يخرج ، إلا أن يكونَ واثقاً بأن يدرك قِرنَه قبل رجوعه إلى موقفه .

رجوع الفارس من بعْد الحملة إلى موقفه الذى منه بدأ ، ينزل منه على الهرب ويَشْنُه[1] بالهزيمة .

لا ينبغى للحامل على العدو أن يستغرقَ مجهودَ جَرْى فرسه ، ولا أن تنتهىَ الحملةُ على عدوه من بعْده[2] .

منتهى[3] الذى يحمل هو على ثلث المسافة فيما بين صف أصحابه وعدوه ، فيكون بينه وبين عدوه الثلثان .

ومنتهى موقف المبارِز[4] على ثلثى ما بين أصحابه وعدوه ، فيكون الثلثُ مما يلى العدوّ ولا يجاوز ذلك .

إن اتفق لقاؤكم العدوَّ فى حال جِدِّهم وحَمْوَتهم واستحكامِ أمرهم ، فالقوْهُم بالتحفظ والرصانة[5] والوقار والتؤدة ، وإياكم والمكاثرة لهم إلا أن تروا فيهم التضعضع والفشل ، والانتشار والخلل .

لا يحملنَّ أحدٌ من غير وجه المَحْمل يطلب الصوت أو للحَميَّة ، فيتعرضُ للهَلَكَة ، ويطلب العدوُّ غِرةً بمكانه .

لا يزولن أحدٌ عن مركزه لفارس شَذَّ من العدو أو لحامل حمل على العدو من غير جهة المحمل .

إن رأى أحد من عدوه خللا فليطلب انتهاز تلك الفرصة ، بعد إحكام موقفه ، وتسليم مركزه[6] إلى رجوعه إليه باذن الله .

---

(١) يشنه أى يفرق نفسه ويوزعها .

(٢) لعل المراد ألا يستأثر بالحملات على العدو ، ليترك فرصة منّ ذلك لإخوانه .

(٣) أى الغاية التى ينتهى عندها فلا يجاوزها .

(٤) هى فى الأصل « المبارزة » وما ذكر هنا أصح .

(٥) الرصانة الثبات والإحكام ، وفعلها رصن . القاموس .

(٦) فى الأصل « مراكزه » والألف زيادة .

إياكم وموقفَ قُلعةٍ [1] لغضبٍ ومعاتبةٍ، وحقدٍ من بعضكم على بعض، والتماسِ هلاكه فى ذلك الموضع والموقف .

لم يكن ليؤذَنَ للخيل فى المناوشة والمشاولة قبل الحملة العظمى من الزحف الأعظم إلا فى الأرض الصُّلبة الموطُوءة ، وكانوا يستحبون حملةَ الخيل على العدو من عملٍ أو شرفٍ من الأرض .

الباب الخامس والعشرون

فى العمل عند استعلاء العدو فى الزحف

قالوا : إن تواقف العسكران وجاء العدو وراءَ العسكر عن فرصةٍ وجدوها أو كمين لهم ، وكانت الخيلُ المنتبذةُ قد أعدت فلتمنعهم ، وإلاَّ فلينتخب من الميسرة فرسان يدفعونهم فى نحورهم يردعونهم عن ذلك ، ولا ينصرف هؤلاء إلا بإذن صاحب الجيش ، ولايصيرون إلا حيثُ يأمرُهم به ، وأحسن ذلك أن يتصلوا بطرف مصافِّ الميمنةِ الذى يلى القلب ، فيصير القلبُ عند ذلك ميسرةً وتصير الميمنةُ بموضع القلب ، والميسرة بموضع الميمنة ، ولينصرف صاحبُ الجيش فى حماته فى رفق إلى موقفه من الميمنة .

إن جنَّكم الليلُ ولم يتصرَّمْ [2] قتالُكمُ فلا تبرحوا مواقفكم الأول — فالأول — (والجند) — على تعبئتها ، ولتقفْ خيلُ المقدمة والشرط والمحتسبة ، فاذا دخل الناس خنادقَهم انصرفت هذه الخيول إلى مراكزهم ، وسدوا أبواب خنادقهم ، وليُعَسِّس صاحب الجيش فى خيله المنتخَبة وصاحبُ الشرط والقواد ، ورؤساءُ الأجناد بالحراس حتى يصحوا ، وضُمُّوا إليكم أطرافكم ومسالحَكم ونوافضَكم ، ثم دسوا إلى العدو من ليلتكم من يأتيكم بخبرهم

---

(١) جاء فى القاموس : الدنيا دار قلعة أى انقلاع ، فيكون المراد لا يتمنى أحدكم لأخيه أن يرحل عن هذه الدنيا بالقتل لشىء بينهما .

(٢) أى إن ستركم الليل ولم ينقطع قتالكم فلا تبرحوا مواقفكم .

وما أبرموا فى ليلتهم لتعملوا فى نقضه بحسبه ، وانظروا مَنْ فى عسكركم من المستأْمَنَة والأُسَرَاء فاستوثقوا وتحرَّزوا منهم ، وأنزلوهم منزلتهم بعد الوفاء منكم بما جعلتم لهم .

إن صُفت الصفوف وهجم الليلُ ولم يوجَد من المبيت بد ، فليعطفْ[1] صف الميسرة إلى صف القلب ، ويعطفْ طرفُ الميمنة حتى يتصلَ بالميسرة ، فيستديرُ العسكر وتكونُ الأثقال فى الوسط قد أحاط بها الفرسان ، فاذا كان فى الغَلَس الأكبر[2] عادوا إلى مراكزهم ومواقفهم .

إن حمل العدوُّ عليكم قبل حملتكم واستتمام تعبئتكم ، فاجثوا على الركب[3] وأشرعوا الأسنةَ فى نحورهم ، والزموا مواقفكم وحركوا البنود ، ولينضَحِ الناشبةُ كلها فى وجوههم .

إن استطرد[4] العدوُّ لكم وأرْهَجوا[5] فلا تحملوا عليهم حتى يسكنَ الرهَجُ ويثبتوا لكم ، واحذروا الكمينَ وأعدوا له .

إن ثبت لكم العدو بعد استطرادهم ، فليتقدمْ صاحبُ اللواء وتحمل الخيل المنتخَبة ، وشدوا فى وجوههم من كل ناحية وليتحرك صاحب الجيش مع البند الأعظم إلى اللواء ، وتحميهما[6] الخيولُ كلها وتُحدِق بهما .

احذروا أن يتضعضع الفرسانُ فى أول حملةِ العدو ، فلتكن خيل المحتسِبة

---

(١) العطف هنا الميل والاتجاه لا الرجوع كما سبق فى المبارزة .

(٢) الغلس الأكبر ظلمة آخر الليل كما بالقاموس ، والمراد عودة الفرسان إلى مواقفهم فى ذلك الوقت .

(٣) الجثو على الركب أن يلصق المرء ركبته بالأرض ويقيم أطراف أصابعه وأشراع الأسنة توجيه الرماح إلى صدور الأعداء .

(٤) أى تظاهر بالهزيمة وانسحب أمامكم .

(٥) أرهجوا أثاروا الرهج أو الرهج وهو الغبار ، والنهى عن تتبع العدو المولى خشية الكمين .

(٦) أى البند الأعظم واللواء ، وهى فى الأصل « تحميها » بالإفراد وليست مستقيمة .

وخيلُ ردْء القلب هي التي تُمِدهم وتردَعُ العدوّ – عنهم ، ولتحمل الخيلُ المنتخبةُ وخيل الروابطِ عليهم ، وتنضح ناشبة الصفوف في وجوههم .

إن ولي أحدُ من أصحابكم عند حَوْمة الموت وألم الجراح ، فاياكم أن تعرِضوا له بالأخذِ عليه بالطرق ، أو ردِّه إلى الموقف من العسكر ، وأخرجوه إلى خلف صفوفكم .

إن جالت الخيل عند حملة العدو وتفزعت[1] الرجالة ، فلتفرُغْ خيل الشرط وخيل الروابط إلى إدخال الناس خنادقهم ، وليُقْدِم خيلُ ردء القلب والمحتسبة في وجوه العدو ، وليكفوا ردْء الناس عن جَوْلتهم ، وإن كثرَ بهم العدوُّ وعجزوا منه فليأخذوا إلى عسكرهم خاصتهم[2] حتى يصيروا إليه ، ويضموا إليهم مراصدَهم وأطرافَهم ، وليعرضوا خيلهم ورجالتهم ويقسموا السلاح فيهم ، ويبعثوا في تعجيل المدد يأتيهم فاذا اجتمعت إليهم أطرافُهم ووافاهم مددُهم ، ورجع فُلاّ لهم إليهم ساروا[3] بعوْن الله إلى عدوهم على تعبئتهم .

إن زحف العدو إليكم وصافُّوكم على أبواب خنادقكم ، فاحتشدوا بالرجالة والخيول المستعدة ، واحملوا عليهم حملةً واحدة ، وانظروا إلى مواطنكم من الأرض ولا تنظروا في وجوههم[4] ، فان ثبتوا فليس إلا النزول والسيوف ، فالزموا الأرض مع إحكامِ صفوفكم[5] ، ولا تَدَعوا أن تُشْرِعوا الأسنة في صدورهم وأن ترموهم من كل ناحية ، فان طاولوكم وصابروكم فلا تكونوا أضجرَ وأقلقَ منهم .

---

(١) أي تفرقت هنا وهناك .

(٢) زيد في الأصل حرف « إلى » بعد عسكرهم . ولا داعي لها .

(٣) في الأصل « وساروا » بالواو والفلال المنهزمون .

(٤) لأن النظر في عين المهاجم قد يضعف روح المدافعة ، ومن ثم يوصى في القتال بغض النظر ، كما يوصى به في الصلاة التي تعتبر تدريباً يومياً على مثل ذلك الموقف .

(٥) النزول للأرض ولزومها معناه الاستماتة واليأس من العودة ، وبذل الوسع في التضحية

الباب السادس والعشرون

فى العمل عند انهزام العدو

قالوا : إن ولّى العدوُّ بنصر الله عليهم فاركبوهم مع الرهَج والريح فان تغيرت الريحُ وسكتت فقفوا[1] ، إلا أن يكونوا قد تركوا عسكرهم وعجزوا واحذروا الكمين وأعدوا له .

إن استحكمت الهزيمةُ على العدو فالميمنة والميسرة هما الحاملتان والطالبتان والمُلِحتّان ، ويتقدم صاحب القلب شاهراً للوائه ، وعلمه يسير على رِسْله فاذا انتهى إلى الموضع الذى ينبغى أن يقفَ فيه وقف وركز لواءه وعلمه واقف فيمن[2] معه من القلب .

فينبغى لطلاّب المنهزمين أن يكونوا أصحابَ الخيل الجرائد[3] بالرماح وألا يخلوا من الناشبةِ المجرّدة[4] تكون معهم ، وينبغى للملحّين فى طلب المنهزمين ألا تغيبَ أبصارُهم عن لواء صاحب القلب وعلمه ، وألا يتركوا التفقد لهما ، فان ركزَهما ثابوا إليه وثابت إليه ميمنته وميسرته ، ووقفوا معهم على تعبئتهم ومواقفهم .

إذا رأى صاحبُ القلب الهزيمةَ مستحكِمةً على عدوه وقد أمعنت مجنّبتاه فى طلبهم ، فليسرْ نحوهم على تعبئته وهيئته مترسلا ليكون منهم قريباً .

إذا أدبرَ العدو وأمعنوا والخيل فى طلبهم ، فليحمل الرجالة على

---

(١) يبدو أن فى هذا تعارضاً مع ما سبق فى الباب الخامس والعشرين من عدم تتبع المنهزمين إذا أرهجوا ، ولعل مراده أن يركبوا الأعداء ما دامت الريح تهب عليهم دونكم ، فان هبت عليكم فقفوا ، حتى لا تفاجئوا بالكمين .

(٢) هى فى الأصل « من معه » .

(٣) الجرائد الخيل السريعة السابقة — القاموس .

(٤) المجردة الذين لا يلبسون الدروع الحديدية التى تثقل حركتهم .

الجنائب[1] فى أثر ِهم ليشغلوا رجّالةَ العدو عن[2] التعريض للخيل والكرة عليهم إن أرادوا ذلك .

إن خيف كرة العدو بعد الانهزام ، فليأمر صاحب القلب مجنبته بالكف والانصراف إليه بأصحابهما ، من غير أن يولوا العدو ظهورهم بل ازوراراً وهم ينادون بالظفر والتحضيض حتى يلحقوا به ، فيكون فئة لهم[3] . إن كرّ العدوُّ[4] لهم بعد إدبارهم فليستقبل وجوهم بالجِد والاجتهاد ، قبل التئام صفوفهم والتحاق خيولهم .

لا تُستقبَلُ المنهزِمةُ من تلقاءِ وجوهِهم ، ولا يُردّوا عن سَنَنِ مذهبهم[5] ، ولا يُمنعوا عن الماء ولا تلتفتوا عند انهزام العدو إلى الغنيمة ولا تتشاغلوا بها ، فان العسكر لمن غلب عليه .

الباب السابع والعشرون

فى ذكر الطلائع وتدبيرهم

قالوا : ينبغى لصاحب الطلائع أن يكون رجلا مذكوراً ، بعيدَ الصوت ثقة ناصحاً عاقلا مدبراً ، نَجْداً[6] جسوراً حاضر الحذَر وينبغى لجميع الطلائع أن يكونوا من أهل النِّصْحة[7] والنجْدة والتجربة للحرب .

ينبغى للذى يرجعُ من الطلائع أن يكون عاقلا مدبراً برًّا صدوقاً .

لتكن خيولُهم سوابقَ جيدةَ الظهور والحوافر ، ليس بهما حِران

(١) الجنائب : الخيل السابقة السريعة ، وهى الأنسب للمطاردة .

(٢) فى الأصل « على التعريض » والمقصود به الوقوف للخيل ومناوشتها .

(٣) الفئة الملاذ والملجأ ، وهى فى الأصل « فيـــة » .

(٤) أى إن رجع العدو لهم بعد انهزامه ، وهى فى الأصل « كرة » .

(٥) أى عن طريقهم ، لأن ذلك يدعوهم إلى تحطيم من يقف فى وجه دفعتهم .

(٦) النجد : الشجاع الماضى فيما يعجز عنه غيره . القاموس .

(٧) هى فى الأصل بهذا الضبط ولعلها (أهل النصيحة) .

ولا جماح [١] ، لايلبسون الدروعَ ولا يحملون التَّرَسَة [٢] ، ولا يكون مع أحد منهم ثقلُهُ ولا فضول من الظهر [٣] .

ليكونوا على متون خيلهم بجعابهم ، وهي مع سيورها ومعاليقها أدَم [٤] فيها ما بين العشْر نُشابات إلى العشرين نشابة ، وقد سَمَّطوا حقائبهم [٥] إن لم يجدوا من ذلك بدًّا ، ليس عليهم إلا أن يأتوا بالخبر ، ولا يباشروا اللقاءَ إلا عن ضرورة ، ولا يكونون [٦] أقل من ثلاثة : أحدهم يأتى بالخبر واثنان يتقدمان إلى العدو ، ليقف على رأس كل ميل ونحوه منهم واحد إن أمكنهم ذلك ، ليحفظ كل واحد منهم ظهر صاحبه ، وإن كانوا اثنين فان قيامهم وتطلعهم على النَّشْرِ والشَّرف من الأرض .

ليكنْ مسيرُهم وركضُهم فى الأرض المستوية الصلبة ، التى ليست بذات غُبارٍ ولا افتقار إلا عن ضرورة .

ليكن سكونُهم ومقرُّهم فى الخيار من الأرض [٧] .

لا يدخلوا إلى أكثر من ثلثى الطريق فيما بينهم وبين عسكر عدوهم .

إن أتى أحدُهم بالخبر وصار بحيث يرى العسكرَ نازلا كان سائراً أو مُصَافًّا ، قرَّب قليلا ، ثم خبَّ ثم اعنق [٨] ، ثم استمر لشأنه ودخل العسكر برفق ، وأخبر صاحبَ الجيش فى سِتْر .

---

(١) الدابة الجامحة أو الحرون التى تغلب صاحبها فلا تستجيب له . المخصص .

(٢) الترسة بالتحريك الأتراس جمع ترس وهو الدرقة التى يتقى بها الفارس وقع السلاح .

(٣) الثقل الفرش ونحوه ، والفضول الزائد ، والمراد بالظهر ما يركب من حصان ونحوه .

(٤) الأدم الجلد والسر فى أن تكون حقيبة السهام ومعاليقها من جلد ألا تحدث خشخشة أو يسمع لها صوت لو كانت من معدن مثلا .

(٥) فى القاموس أن السمط سير يعلق فى السرج ،فالمراد ربطوها بذلك السير الجلدى خلفهم .

(٦) فى الأصل « ولا يكونوا » .

(٧) أى فى الأرض المختارة المناسبة .

(٨) التقريب والخبب والأعناق – ضروب من العدو ، التالى منها دون سابقه بالترتيب المذكور هنا . أنظر القاموس .

ليكنْ فيما بين الطليعةِ وصاحب الجيش علاماتٌ فى خبر العدو من الخوف والأمن ، والقرب والبعد — إذا لم يمكنه الوصول إلى العسكر أو لم ير ذلك ، وأمكنه التراثى لهم — يفعلُها بنفسه ودابته من إدارته وركضِه ، ونزولِه وجلوسه ، وإقباله وإدباره [1] وما أشبه ذلك ، فمن رآه من أهل العسكر يفعلُ ذلك به [2] ، أخبر به صاحبَ الجيش فيعرفُ به خبرَه ، ويستمر هو لشأنه وينجو بنفسه إلى مأمنه إن احتاج إلى ذلك .

الباب الثامن والعشرون

فى ذكر الكمناء وتدبيرهم

قالوا : يُتحرّى ألا يكونَ بأحد [3] من الكمناء ولا بدابته علة ولا لدابته خلق يستدِلُّ به العدوُّ على مكانهم فى المكمن ، ويتحرى أن يكون موضعهُم فى المكمن خفياً مستوراً ، يمكن أن يكون لهم معه ديدبان بالنهار وعسَسٌ بالليل ، ولا يقدر العدو على بياتهم فيه ، والذى إن طال بهم فيه مُقامٌ أصابوا حاجتهم من الماء .

لا يُؤذون الطيرَ والوحشَ والسباعَ فيما حولهم [4] ، يطلبون خبرَ عدوهم بالعيون الذكية ، ولا يُقْدِمون إلا على معرفة .

لتكن ساعةُ ظهورهم من المكمنِ بالغدوات فى حال الغفلة من عدوهم ، وعند حطِّهم عن دوابهم وإمْراحِها ، وعند انتشارهم واغترارهم فى أحرِّ ساعةٍ تكون [5] فى أيام الصيف ، وأبردِ ساعة تكون فى أيام الشتاء .

---

(١) هذه إشارات يكون قد سبق الاتفاق على دلالتها .

(٢) أى يفعل ذلك بنفسه ليفهم الناس عنه .

(٣) هى فى الأصل « يأخذ » وليس بشىء ، والمراد بالعلة الخصلة الدالة كالسعال أو الشخير .

(٤) لأن ذلك قد يجعل الوحش يفر منهم ، فيستدل بذلك على مكانهم .

(٥) العبارة بالأصل هكذا « فى آخر الساعة التى تكون فى أيام الصيف » والصواب ما بالمتن.

ليكن المكمنُ كراديسَ منتشرةً منقطعة من غير أن يبعُدَ بعضهم عن بعض ، ولتكنْ حملتهم عن صدق وانكماش من غير دهشٍ ولا اختلاط ، ليسرعوا الرجْعةَ إلى الموضع الذى أبعدوا — (عنه) — للاجتماع — (بالجيش) —.

الباب التاسع والعشرون

فى ذكر البيات وتدبيره (١)

قالوا : ليُختَرْ للبيات صنفان : أحدهما أهلُ التجارب للحرب والثبات ، والآخرُ من كان أميرُه(٢) أعلمَ به منه مطيعاً .

ليختَرْ من الأوقات للبَيات الليلةَ الظلماءَ ، وليلةَ الريح ، ويَتحرى أن يكون بجنْبِ نهر له دَوِىٌّ وخرير(٣) .

ليوقعْ بالعدو الكثيرِ نصفَ الليل ، وبالقوى مع وجه الصبح .

من خير ما يَعملون به أن تصمُدَ (٤) فرقةٌ منهم لوسَطِ العسكر وليبدء وهم بالرمى من خارج ، فاذا اضطَرَبوا عملوا فيهم السلاح من داخل مع الرمى من خارج .

ليعْقروا دوابَّ العسكر ويجرحوا بالرماح ، ويَقْطَعوا شُكُلها وأرْسانها(٥) .

لا يقيمون إذا توسطوا العسكر فى موضعٍ واحد، بل يكثرون الَحوَلان فيه(٦) .

---

(١) فى الأصل « وتدبيرهم » .

(٢) فى الأصل « أمره » والمعنى من كان معروفاً لدى أميره بالطاعة المطلقة .

(٣) أى وما أشبه ذلك من الأصوات التى يضيع فيها تهامس المهاجمين فلا يسمع .

(٤) صمد للشىء قصده ، ومنه قوله تعالى : « الله الصمد » أى المقصود فى الحوائج .

(٥) الشكل جمع شكال وهو الحبل الذى تشد به قوائم الدابة ، والأرسان جمع رسن وهو الزمام الذى تقاد به . القاموس .

(٦) بالأصل « يكثروا » بلا نون .

لتكن علامتهم فيما بينهم معروفةً وعند غيرهم مجهولةً .

ليتنادوا فيما بينهم وينادوا أعداءهم بما فيه انقطاعهم ودحضُ[1] عسكرهم.

إن لم يُمكن اصطلامُ[2] العسكر حرَصوا على خصلتين : سرعةِ الإيابِ بالسلامة مع ما أمكنهم من النكاية به .

الباب الثلاثون

فى التأهب لخوف البيات والدفع له

قالوا : ينبغى إذا خافوا البيات أن يصَيِّروا أصحابهم أربعة أجزاء : جزء مع الرجالة فى العسكر على الطريق ، وجزء مع الناشبة فى أعلى أبواب العسكر خلفَ الحسك ، ويخرج القلب والميمنة (والميمنة)[3] والميسرة من العسكر فيكمنوا فى مكان خفى ويكف أصحاب العسس والحراس عن[4] عملهم ، ويوقدوا النيرانَ فى جميع نواحى العسكر ، فان دخل داخلٌ عليهم حمل عليهم الكمينُ من وراء ظهورهم وصدَقَهُم[5] الذينَ أمامهم .

ليتركوا النيرانَ تؤقَدُ ، والأبنيةَ مضروبةً والأثقالَ بموضعها ، وينثرَ الحسك فى مواضعه ، ويرتحل[6] الفرسان أو بعضهم على ما يرون أنه أوثق وأبلغ متهيئين للعمل ، أو يضعون كميناً ، فاذا وقع العدوُّ والعسكر ثار بهم الكمينُ من ورائهم ، وصدَقَهُم مَنْ فى العسكر من أمامهم ، وأنجدهم فرسانهم الخارجون عنهم .

---

(١) دحض الحجة إبطالها ، والمراد هنا إبطال مقاومتهم من الخوف والانقطاع .

(٢) الاصطلام الاستئصال بالقتل . القاموس .

(٣) هذه الكلمة مكررة وزائدة عن السياق .

(٤) فى الأصل « من » والسبب فى توقفهم عن العمل ، لئلا يعرف العدو زمانهم .

(٥) صدقوهم : ثبتوا لهم بحزم وشدة . القاموس .

(٦) أى ينتقلون إلى مكان بعيد عن العسكر بحيث لا يعرفهم أحد .

ليلزموا مراكزهم ولا يتكلمن أحد منهم ، ولا يكبرن إلا أهلُ الناحية التى يقع بها العدوُّ ثلاثَ تكبيرات متوَاليات ، ليعُرَف موضع العدو فتمد تلك الناحية فى رفق ، ويُرفَعُ للعسكر نارٌ من وراء والى العسكر ليعرفَ ــ (الناس) ــ بها مكانه وسلامته .

أفضل أهــل العسكر وأحزمهم إذا وقعت الصيحة والبيات من ثبت فى موضعه .

الباب الحادى والثلاثون

فى معرفة الرئيس مقاديرَ أصحابه فى الحرب

قالوا : كان أهل المعرفة بالحرب يحبون أن يعرفَ الرئيسُ من استطاع معرفته من أصحابه وجنده ، رجلا رجلا بخاصته فى الشجاعة والجـُبن مع سائر أحواله ، ليضعَ كلَّ رجل منهم موضِعَه .

ذكروا عن بعض الرؤساء أنه كان يعرف أصحابَه وهم أربعةُ آلاف رجل ، كلَّ رجل منهم باسمه ونَسَبه وبلده وهيئته ، حتى يعرف سيفَه ومنْطِقَتَه[1] ودابته ورفيقه ، مع مقدار عمله فى الحرب .

إعرِفِ الشجاعَ الصلفَ الطِّرْمِذان[2] ، إعرف الشجاعَ الأهجَ المقدام ، إعرف الشجاعَ الحَريزَ الرَّواغ[3] ، إعرف الشجاع الحاذق المدارى ، إعرف الشجاع الفرار الكرار[4] ، أعرف الحَرونَ اللازم لموقفه ، اعرف الجَموحَ المصممَ على قِرنه[5] ، اعرف الرجل يقاتل أمام أصحابه ، اعرف الرجل

---

(١) المنطقة ما يتخذ نطاقاً فى الوسط من جلد ونحوه .

(٢) فى الأصل « الطر مذار » والصحيح ما هنا والطرمذان الرجل المتكبر المتفاخر . القاموس .

(٣) الحريز الرواغ هو الذى كأنه فى حرز من ميله ورغباته . القاموس .

(٤) الفرار الكرار الذى يعرف متى يتأخر ومتى يتقدم .

(٥) الحرون الذى لا يتقدم إذا طلب إليه التقدم ، والجموح الذى لا يمتنع إذا منع والقرن الخصم المناظر . أنظر القاموس .

يقاتل فى حامية أصحابه ، اعرف الرجل الثبْت الساكنَ القلب ، اعرف الرجل الطائش الطائر القلب ، اعرف الرجل لا يخذِلُ صاحبَه ، اعرف الرجل يقاتل إذا رآه رئيسُه ، اعرف الرجلَ يقاتل إذا رآه صاحبه ، اعرف الرجل يقاتل وإن لم يره أحد ، اعرف الرجل يقاتل إذا غضب ، اعرف الرجل يقاتل إذا طمع ، اعرف الرجل يقاتل للشهوة ، اعرف الرجل يقاتل للحياء ، اعرف الرجل يقاتل للكرم ، اعرف الرجل يقاتل للتدين ، اعرف الرجل يُجبِّن(1) غيره ، اعرف الجبان الطرِمْذان ، اعرف الجبان يتشبه فى هيئته بالشجاع ، اعرف المقاتلَ فارساً ، اعرف المقاتل راجلا ، اعرف المقاتل فارساً وراجلا ، اعرف الفارس اللبق(2) ، اعرف الفارس المَقِيتَ(3) البليدَ ، اعرف الفارس الجيدَ الرمى (4) ، اعرف الرجلَ الجيدَ الضرب ، اعرف الرجل الجيد الوَحْىَ (5) اعرف كل ذى خاصة بخاصته .

الباب الثانى والثلاثون

فيما يحتاج الرئيس إلى معرفته من مذاهب أصحابه

قالوا : إن صاحب الحرب قد يحتاج فيما يعانى منها إلى أكثر أصناف الناس وهو إلى بعضهم أحوج منه إلى بعض ، فينبغى له أن يعرف ثقاته وخاصته وأعوانه بخواصهم وحالاتهم ، ليستعين بكل رجل منهم فيما يصلح له ، ويضعه بالموضع الذى يستحقه .

إعرف الحافظ للسر ، اعرف المساعدَ على الأمر ، اعرف ذا الرأى الأصيل ، اعرف الناصح الشفيق ، اعرف السامع المطيع ، اعرف الوادّ

---

(1) أى يخلق الجبن فى غيره بتجابنه .

(2) هو الحاذق المتصرف فى الأمور .

(3) المقيت الذى يمقته الناس ويبغضونه .

(4) هى فى الأصل « الرامى » والصوابُ ما ذكر بالمتن .

(5) المراد بالوحى هنا الإلهام وحسن التصرف بالفطرة والفطنة .

المحبَّ ، اعرف الذكى الوفى ، اعرف الصدوقَ اللهجة ، اعرف السليم الناحية ، اعرف الصبور على الشدة ، اعرف الدائم الطريقة[1] . اعرف المضاد لكل خَصلة من هذه الخصال الإثنتى عشرة[2] .

الباب الثالث والثلاثون

فى الذنوب والجرائم التى يُستوْجب بها الأدب والعقوبة

قالوا : إن من الذنوب التى يُستحق بها العقوبةُ والأدب ، من القتل والقطع ، والنفى والسخط[3] ، والضرب والحبس ، والحرمان والغُرْم ، على اقدارها هى هذه : المكبِّر بغير إذن ، المطبل بغير إذن ، المقاتل بغير إذن. التارك للموافاة يوم الحرب ، المتقاعِسُ عن الخروج إلى الحرب ، المُخِلُّ عصافَّه[4] ، النائم عن محرسه ، السالك فى غير طريقه ، النازل فى غير موضعه ، الواقفُ فى غير موقفه ، المجاوز لما يُحدُّ له ، المقصر عما يحد له ، التارك لما يوكل به ، التارك إنهاء ما ينبغى له إنهاؤه ، المانع معونَتَه فيما يُحتاج إليه فيه ، صاحب الغُلول[5] ، موارى الأسير الهارب من الزحف ، الناقم على رئيسه ظالماً ، الطاعن على رئيسه كاذباً ، المفسد للناس على رؤسائهم ، المحرِّبُ للناس فيما[6] بينهم ، الواصف لأصحابه بالضعف ، الواصف للعدو بالقوة ،

---

(١) الدائم الطريقة الثابت على خلق واحد .

(٢) العبارة فى الأصل « الاثنى عشر » والصواب ما هنا ، ويسرد الخصال المذكورة — ظهر أنها إحدى عشرة فقط ، من قوله : « إعرف الحافظ للسر الخ .. » ، فلعــل إحدى هذه الخصال سقطت من الناسخ .

(٣) السخط : الغضب والتعنيف واللوم .

(٤) التارك لموضعه من الصف .

(٥) هو الشخص الذى يغل من الغنيمة أى يأخذ منها لنفسه قبل قسمها .

(٦) المحرب للناس الذى يثير بينهم المغاضبة والبغضاء وينميها .

الساتر عورةَ العدو عن أصحابه المجبِّن [1] لأصحابه عن العدو ، المشجع للعدو على أصحابه ، الدالُّ للعدو على عورة[2] أصحابه .

الباب الرابع والثلاثون

فى ممارسة الحصون

قالوا : إن الحصونَ ليست هى القلاعَ الشامخةَ المبنىَّ عليها الأسوار فقط : هى القلاعُ والمطامير[3] ، والجبال والغياض [4] والمدن والخنادق والرمال والوحول والآجام[5] والبحار ، كل هذه وما أشبهها حصون ومعاقل .

وقد يجتمع للحصن الواحد من هذه الأصناف العشرة عدة أصناف ، ولكل صنف منها ضروبٌ من العمل والتدبير ، وقُطّانُ كل موضع منها أحْرَى وأحذقُ وأصبرُ فيه وفيما أشبهه ممن ليس من أهله ، وكل صِنْف منها ضروب مختلفة الأحوال ، فى صعوبته وسهولته ومأتاه[6] ، ووجه محاربة أهله ، كالقلاع والمدن ، فان منها ما يُحتاج فيه إلى المطاولة والمصابرة واتخاذ الحصون وبنائها خراباً [7] ، والمُقام عليه السنين الكثيرة ، ومنها ما يُحتاج فيه إلى المعالجة والمناجزة ، وكبيرٌ فيه دَوْر الحيلة [8] والأيام اليسيرة ، وبين هذين ضروبٌ كثيرة مختلفة من التدبين والأحوال ، يحتاج فى كل شىء من ذلك إلى ضرب من الآلات والأدوات والتدبير والمحاربة .

---

(1) هو الذى يثبطهم عن العدو ويخذلهم عنه .

(2) العورة نقطة الضعف التى تسهل مهاجمتهم منها .

(3) المطامير جمع مطمورة وهى الحفيرة تحت الأرض . القاموس المحيط .

(4) الغياض جمع غيضة وهى الأجمة ، ومجتمع الشجر فى مغيض الماء . القاموس .

(5) الآجام مفردها أجمة وهى الشجر الكثيف الملتف .

(6) مأتاه الطريق الذى يهاجم منه ويفتح به .

(7) أى بناء الحصون للجند حوله ، ولو تركت خراباً ، لإشعار أهل الحصن بدوام الحصار .

(8) فى الأصل « دون » والمراد أن الحيلة فيه أنفع .

والقول الخاص فى هذا الباب من الحصار هو القلاعُ والمدن وما أشبه ذلك ، والقول العام فيه هو لجميع الحصون والمعاقل .

إن أمكنك سترُ قصدك للحصن ، والحيلةُ لأن تفجأهُ خيلُك على غرة ، فهو أكبر التدبير فيه .

إن أمكنك المكيدةُ لأن تُخرجَ مقاتِلةَ الحصن منه وتفجأهُ خيلك وهو خلو فهو الظفر بإذن الله .

أول عمل الحصار أن تحصُرَ أهله من ساعة تنزل عليهم ، حصراً لايقدرون معه على أن يَخرجَ منهم أحد ، ولا يدخل إليهم — (أحد) — ولا يسمعون له كلاماً ولا ينظرون منه إشارة ، ولا يبلغه لهم رمية[1] ، فاحتَلْ فى ذلك بكل حيلة ، وقدمه على كل عمل ، واحتمل فيه كل مشقة ، وإن اتفق — (أن كان) بعيداً فالصق بالحصن واحتل فى تناول الماء من بعد .

الذى فى الحصار العملُ فى استمالة بعض حاميته[2] والتحرزُ منهم ، وإدخالُ الرعب عليهم ، والعمل فى كل خصلة من هذه الخصال الثلاثة وجوه من الحيل والمكائد كثيرة : —

إبدأ[3] بطلب الحيلة لاستسلام أهل الحصن أو دخولهم فى الطاعة واستمالة من أمكن منهم ، — (واترك) — المناهضةَ ما داموا مستشعرين للخوف ، فان المناهضة — (تُدْنيهم) — إليك ، وربما كانوا بعدها أسكَنَ روعاً وأجرأ مقدماً ، مع ما قد يظهر لهم عندها من مواضع الخلل ، ويسنح لهم من وجوه الحيل :

---

(١) المراد من إبعاده عن مرمى سهامهم ، لئلا يتفاهم معهم عن طريق الرسائل التى تربط على السهام .

(٢) فى الأصل « حامته » والمعنى أن أهم أعمال الحصار هى استمالة بعض أهل الحصن بالحيلة وتخويف بعضهم وترعيبهم .

(٣) فى الأصل « أبدأ » بهذا الضبط .

احترس من رسلهم ولا تتركن أحداً يقربهم ، ولا يكلمهم إلا العقلاء الثقات ، واحذر أن يظفر أحد منهم منكم بشيء حتى يعود إلى موضعه[1] ، وليكن الرسول إليهم من يوثق بنصحه ووفائه وعقله وذهنه ومكره وخداعه جامع القلب ، صنع اللسان[2] ، عارفاً بمقادير الكلام ومواضعه .

كن فى معرفة مواضع عورات الحصن ، والعمل فيما يحتاج إليه فيه مع تحصين عسكرك ، ولا تؤخر ذلك للمناظرة .

إعرف المواضع الصعبة والذليلة ، والمنيعة والممكنة فى العمل ، واعرف مواضع المعابر ، والمخاوض[3] والقناطر والجسور . اعرف مواضع نصب المناجيق والعرادات[4] ومواضع أحجارها وقدر نكايتها، اعرف مواضع الرمى للنشاب والخنشان والمقالع[5] والنيران والأوهاق[6] .

اعرف مواضع العجل والدبابات ، والأبواب والصفائح[7]، ووجوه العمل بها .

اعرف مواضع التطريق والتسريب والنقوب والتعليق[8] .

---

(١) المراد بموضعه حصنته الذى أقبل منه .

(٢) أى مقداماً بليغ اللسان ، وهى فى الأصل « صنيع » .

(٣) المخاوض جمع مخاضة وهى جزء من النهر قريب القاع ، يمكن عبوره للناس مشاه وركبانا . القاموس .

(٤) المناجيق جمع منجيق وهو وهوأداة ضخمة من أسلحة الحصار ترمى الأسوار بحجارته كدافع الميدان والعرادة نوع منه مصغر . أنظر الفن الحربى للناشر .

(٥) الخنشان الحيات والثعابين وجمعه الصحيح أحناش كما فى القاموس والمقالع أهداف الرمى ، ويجوز أن تكون جمعاً للمقلاع المعروف .

(٦) الأوهاق جمع وهق أو وهق ، وهو الحبل يرمى فى أنشوطة فتؤخذ به الدابة والإنسان . أنظر القاموس .

(٧) للتوسع فى معرفة أسلحة الحصار ومشاهدة رسومها راجع كتاب « الفن الحربى فى صدر الإسلام » للناشر » .

(٨) المعاليق هى الخطاطيف والكلاليب وهى حدائد معقوفة تقنص بها الأشياء ، ويتسور الجند بهاالحصون . يضاف هنا الهامش رقم ٧ فى الصفحة السابقة .

اعرف مواضع السلالم والكلاليب والخطاطيف والمعاليق ، واعرف مواضع التسليق والتسور ، والمكايدة[1] بلطف لمعرفة موضع المدخل والمخرج الخفى والباطن .

قد يكون للحصن — (منفذ) — لا يقطعه ، أو تدبير لانتهاز الفرصة منه[2] ، فانه إن كان ذلك لهم ولا معرفة لك به فليسوا فى حصار .

أعد من أصناف المقاتلة والصناع والفعلة كل من تحتاج إليه ، واعمل فى ذلك بالاستظهار ، ليأخذ الصناع فى عمل الآلات والسلاح ، ولا يؤخر ذلك لغيره .

عجل نصب المناجيق إن كان لها عمل ، ولتكن فى حرز ، وقدر جميع مواضع القاتلة ، ولتعجل فيها ولا تنتظر بذلك انقضاء مناظره[3] — أهل الحصن .

إن احوجوا إلى المناهضة بعد الاعذار نوهضوا ولا يرفع[4] عنهم رمى المناجيق وغير ذلك ، من كل ما فيه النكاية ليلا ونهاراً ، ولا يفتر عنهم ساعة واحدة .

ليقاتلوا قتال القلاع والمدن وبآلاتها على حسب الحاجة إلى ذلك ، ووجوه العمل فى هذا كثيرة :

هى على حسب هيئة الحصن وموقعه وقدر أهله والإمكان فيه ، يقاتلون بالسلاح الأيسر فالأيسر ، ويؤخرون العظيم المهول إلى ما يقاتلون به .

---

(١) هى فى الأصل « المكابرة » والأصح ما ذكر هنا ، والتسريب إرسال الخير قطعة قطعة .

(٢) العبارة فى الأصل « قد يكون للحصن ليقطعه أو تدبر انتهاز فى الفرصة منه » وهى غير مستقيمة ، ولعل الصواب ما ذكر بالمتن .

(٣) المناظرة الانتظار والمصابرة .

(٤) فى الأصل « ولم » .

إن كانوا أهلَ مناجزة طُووِلوا ، وإن كانوا أهلَ مطاولة نُوجِزوا [1] على أن المطاولة فى الحرب رأس المكيدة ، والذى يأمر به الحزَمَةُ — (أن) — يطافَ بالحصن فى كل يوم أو اثنين ، فيشارُ إليه ويقدر له ، ويُتكلَّم فيه بما يرغِّبُ أهله ، ويكْسِف [2] إليهم بالَهم — (بأن) — يظهر لهم بعضَ ما يعمله الصناعُ من آلات الحرب ، والاستحثاثِ بذلك والانكماش [3] فيه .

إعلم أنك محصور منهم كما حصرتهم ، وأنهم لايفترون عن مكايدَتِكَ ، فلا تأمننَّ خروجَهم عليك ومواثبتهم لك ، إن أمكنتهم الفرصة منك فى ليل أو نهار [4] .

اتخذ لنفسك خنادق إن احتجت إلى ذلك وأمكنك ، وضع على قدر غلْوة [5] من أبواب حصن عدوك إن احتجت إلى ذلك رابطةً على متون خيرهم ركباناً بمنزلة طلائعك ، يكون فيها كفايةٌ وشُغْل لهم إن خرجوا عليك .

الباب الخامس والثلاثون

فى المدافعـــــة عن الحصـــــون

قالوا : أول ما يحتاج إليه صاحبُ الجيش هو أن يكونَ فى حال الأمن — وقبل أن يفجأهُ عدوُّه — قد حصن [6] نفسه ، وأحكم مواضعَ المقاتلة فيه والمدافعة عنه ، ورمّ كلَّ ما يحتاج إلى أن يرمَّه منه ، وشَحَنَه بكل آلة وعدة تعين على طول الحصار ، وتنكأُ [7] العدوَّ عند المناهضة ، وألا يخليَه فى حال

(١) فى الأصل « طولوا ، تؤخروا » والصواب ما هنا ، والمعنى إن كان أهل الحصن يميلون إلى المبادرة بالقتال فطاولهم وراوغهم ، وإن كانوا يميلون إلى المطاولة فبادرهم بالهجوم .

(٢) فى القاموس كاسف البال سيىء الحال ، وكاسف الوجه عابس ، فمعنى يكسف بالهم يحزنهم وهى فى الأصل « يكشف » بالشين .

(٣) أى إظهار الإسراع به والجد فيه .

(٤) فى الأصل « ولا نهار » .

(٥) الغلوة مقدار رمية السهم ، والرابطة الجند المرابطون .

(٦) فى الأصل « وقد » ولا حاجة للواو . (٧) فى الأصل « فى العدو » .

من الأحوال من المقاتلة ، والأخلياء الذين لا صنعة لهم غيره ، ولايزال شبيهاً بالمتوقع لعدوه فان فاجأه وجده مُعِداً ، وليعلم أنه لايقصرُ فى شىء من ذلك فى وقته قبل الحصار ، أو فى شىء من عمله وتدبيره بعده ، إلا كان عليه فيه من الوَهَن والخلل ، وقوةِ عدوه وظفره بحسبه .

رأس سلاح المحصور أول ما يبدأ به هو أن يُحضِّض أصحابه [1] ويصفَ لهم عواقب الصبر ، ويحذرَهم العار ، ويعدَهم ما فيه الظفر ، وما أشبه ذلك من كل ما يسكِّن به أنفسهم ، ويحمون به على عدوهم .

— (لبرْمِ العدو) — بقدر غاية مراميه وقدرِ نكايتها [2] ، فما لم يبلغ حاجته منها ، لا يتعرض له ولا يظهرُ لعدوِّه . ليعرفْ منتهى سلاح عدوه وقدرِ نكايته ، ليكون عمله على حسب ذلك .

يستعمل من الآلات ما فيه الإفسادُ والدفعُ والإبطال لآلات عدوه ، لا يرمى من السلاح ولا يعمل إلا بما يثق أنه ينكأُ به عدوه ، ولا يناهض إلا عند الضرورة إلى الدفع عن نفسه ، ولا يقاتل ما وجدَ إلى الحيلة والخديعة سبيلا .

يعمل على المطاولة والمدافعة ، ويغتنم اليوم والساعة واللحظة يدفعها بالحيلة .

ينتظر حوادث الأيام والزمان بما يُحِب ، ويترصَّدُ مواضعَ الغِرة من عدوه ، ولا يدع افتراصها فى ليل أو نهار إذا أمكنته ، ويكتنف [3] بالرجال والقوة المواضعَ التى يظن أن عدوه إليها أسرع ذهاباً ، ونحوها أشدُّ اعتماداً .

ينازل عدوه فى أحصن مواضع الحصن ؛ ليظن أنه أهم المواضع إليه ، ويشغله به عن غيره ، ويتغافل عن موضع الخلل المجهول من حصنه ويخفيه لئلا يعثروا عليه ، مع التفقد منه له ، والتَّوكيل — (به) — خَفِياً من أصحابه — (يرعاه) بالقصد والقناعة والتشمير والحركة ، ويُقدِّرُ من كل ما يفوِّق [4] ويُقوى قدراً

(١) أى يحثهم على الصبر والمناجزة .

(٢) لعل المعنى أن تعمل أدوات رميه بكل طاقتها لتؤذى العدو ما أمكن .

(٣) فى الأصل « يكتنف » .

(٤) فى الأصل « ما يفوت » والأنسب ما ذكر هنا .

ويوقت لكل عمل من الأعمال وقتاً لايجاوز إلى غيره ، كالمطعم والمشرب والاستقاء والنوم ، والتغوط والحراسة والديدبة ، والتدخين والإيقاد وغير ذلك .

يوكِّلُ — (القائد) — بكل موضع من الحصن من يقوم به كالأبواب والأركان والبروج ، والشُّرَفِ والسُّترِ والسُّدَد ، والمحارس والمناظر (١) والمراتب والخنادق والفارْقينات (٢) ، ومواضع المقاتلة والمدافعة وغير ذلك ، ويأخذ الموكَّلَ به(٣) بما يَحدُث فيه .

يستعمل الصناع فيما يحتاج إليه من آلاته ، ولا يبقى من أصحابه أحدٌ يقدر على عمل ينتفع به إلا عمله .

لا يأنف من عمل المَهنة (٤) ، ويضع يده مع أصحابه فى كل عمل يعملونه للمنفعة . يحتال أن يظهر من فعله وقوله لعدوه كلَّ ما يَظهرُ به استغناؤه وقوته . يتحرز من كل فعل وقول يظهر به أو يتوهم له النقص فى شىء من أمره .

يأمرهم برفض مالا يحتاجون إليه والتمسك بما يحتاجون إليه ، وألا يُخرجَ أحد منهم شيئاً ولا يضيعه .

يأمرهم ألا يَسُوطوا مواضعَ الشرب(٥) ولا يزدحموا على الماء إذا استقَوا .

يأمرهم بالوقار والحلم ، والاحتمال وحسن الخلق .

ينهاهم عن الشغَب والنزَق وكثرة الضجاج واللغَط ، وكل ما يدعو إلى الفشل .

ينهاهم عن الفضول والخطل ، وكل مالا ينتفعون به من القول والعمل .

---

(١) السدد جمع سدة وهى باب الدار ، والمناظر جمع منظرة وهى مكان الجلوس فى القصور العظيمة . القاموس . ولعل اسم المنضرة العامية مأخوذ منها .

(٢) الفارقينات جمع فارقين وهو الخندق باللغة الفارسية . معجم هنداوى .

(٣) أى يحاسبه على كل شىء فيه .

(٤) المهنة بفتح الميم وكسرها الحذق بالخدمة وأعمالها . القاموس .

(٥) أى لا يخلطوها بشىء آخر أو يلوثوها .

ينهاهم عن الفُحش والسفه على عدوهم ، وعن الإجابة لهم على مثل ذلك من قولهم .

يأمرهم ألايدعوا أحداً من عدوهم يقرب منهم بالكلام فيُسمِعَهم مايكرهون فى أنفسهم ، أو بعضَ ما تَفْسُد به قلوب بعضهم .

لايدع أحداً يكثر السرار فيهم ، وينكّل بالمرجفين والمخرِّجين(١) ويعاقبهم أشد العقوبة .

يتحرز ممن(٢) معه من أهل الصناع والأموال والعيالات الخارجة من حصنه ، ومن أهل الطمع والحقد والفساد ، ويتأتّى فى كل شيء من ذلك بما يصلحه ويحسمه به .

يجتهد فى إحكام الآفات(٣)التى لاتكاد أن تؤدى بالمحصور إلى الظفر (٤)به ، بعد الغلبة بالنصر والتأييد ، الذى ليس هو إليه ولا إلى المحاصر له إلا منها ، وهى نفادُ الماء والطعام فيحسن تقديرهما ، والثانية التحاربُ من أصحابه والبغى من بعضهم على بعض ، فيجتهد فى اجتماع كلمتهم ، والثالثة عورات حصنه فلا يغفلُ عنها ، ويُحسِنُ السترَ والتدبير لها ، ويكون مما يأمر به أصحابه أن لا يزالون (٥) يتذاكرون فناء الدنيا وانقطاع ما فيها ، فأنه لايموت أحد إلا بأجله ، لا يتقدمه ولا يتأخر عنه ، فانهم موقنون بذلك ، فعلام يحتملون مع هذا العار والسبّة ، والذلة الباقية فيهم وفى أعقابهم آخر الدهر ؟ فى أن يتركوا حصنهم أو يتراخَوْا عنه ، هذا وما أشبهه من كل ما يوطنون له أنفسهم على الاستبسال والصبر .

يأمرهم أن لايزالون(٦) يتذاكرون طلبتهم القيام بحصنهم ، وضمانهم

---

(١) السرار المحادثة فى السر ، المرجفون والمخرجيون الذين يشيعون الشائعات الضارة .
(٢) فى الأصل « من » وليست بشيء .
(٣) المقصود بالآفات هنا العيوب الضارة بصاحبها .
(٤) العبارة فى الأصل « أن توتا بالمحصور فى الظفر به » والصواب ما هنا .
(٥) فى الأصل « لا يزالوا » بلا نون .
(٦) فى الأصل « لا يزالوا » بلا نون .

المحاحشةَ [1] عنه ، والبذلَ لأنفسهم دونه ، وما لهم فى الوفاء بذلك من الحسن والنفع ، وما عليهم فى الغدر به من الفتح والضرر فى العاجل والآجل ، هذا وما أشبهه من كل ما يتمسكون به بالوفاء والمحافظة .

يأمرهم أن لايزالون يطرحون الحسنة ويقولون بالفأل والزجر والأمارات[2] وتأويل الرؤيا وما أشبهه ذلك مما يتطيرون به[3] ويتيمنون به .

يأمرهم أن لايزالون يتحدثون بالفكاهات[4] وكل ما يدفعون به الضجر والتبرم ، ويسلون به الغمومَ والأحزانَ العارضة لهم .

إن كان محصوراً على التمام وله من ورائه من يحوطه ، صير له فى عسكر عدوه من يسعى فيه بالفساد ، ويُلقى إليه خبرَه[5] . إن كان محصوراً وله من ورائه من يرجو غياثه ، احتال لإيصال ما بينه وبينه بالمكاتبة والمراسلة بكل حيلة .

إن كان محصوراً ولم يكن له فى عسكره من ثقاته المؤتمنَة ، أو مستأمنة البلاد من يسعى فيه بالفساد[6] ويلقى إليه أخباره ، احتال فى ذلك باخراج المستأمنَة إليه من حصنه ليقوموا له به .

إن كان محصوراً تلطف لوصول كتبه إلى من له فى عسكر عدوه بالرمى بها من الحصن[7] وألا تصير إلاّ إليه ، وإن كان له فى حصنه مدخل ومخرج خفىٌّ ، فخاف قوة عدوه على قطعة إن تنبيه إليه [8] ، ستر ذلك جُهدَه ، وإن أمنه أظهر قوته ، وإنما يكون محصوراً — (حقاً) — إذا لم يكن ذلك له ، وإن رجع عنه عدوه لا[9] يتبعه إلا أن يوقن بالظفر به أو النكاية له .

---

(١) المحاحشة المدافعة . القاموس .

(٢) أى يشيعون الأخبار السارة . ويتفاءلون بالإشارات والأحداث .

(٣) أى يتشاءمون منه .

(٤) فى الأصل « الفاكهات » والصواب ما هنا .

(٥) أى يبلغه نتيجة سعيه فى معسكر العدو بأية وسيلة .

(٦) أى فى معسكر الأعداء .

(٧) جرت عادتهم بأن يكتبوا الأخبار على السهام ثم يرمون إلى غرضهم داخل الحصن بها .

(٨) فى الأصل « عليه » . (٩) فى الأصل « لم يتبعه » .

الباب السادس والثلاثون

فى أمور شتى من الحرب

قالوا : إن سبقك عدوك إلى الماء واحتجت إلى قتالهم عليه ، فاعرف الساعة التى يكونون فيها قد سقوْا دَوابهم وأخذوا حاجتهم منه ، فواقعهم فيها ودافعهم عنه

إن سبقت عدوك إلى الماء فلا تُحوجْهم إلى قتالك عليه ما وجدت إلى الحيلة سبيلا ، ولا تؤيسْهم من الشرب ، وتيقظ فى الساعة التى قد سبقتم فيها وأخذتم حاجتكم منه . استظهر فى الرِّد بالشجاع يكنْ للجبان كهفاً إن انصرف إليه منكوباً ، فان الشجاع إن انصرف إلى الجبان أوى إلى غير ركن ، ولم يكن الجبانُ له فئةً ولا كهفاً : لايكوننّ عند التعبئة فى الفرسان راجل ، ولا فى الرجالة فارس[1] . إلا أن يكون من عرفاء الرَّجالة ، فقد يكون للعريف[2] دابةٌ يعبِّئ عليها أصحابه ويشرفُ منها على الزحف .

مرهم فى التعبئة بالتراصف وانضمام بعضهم إلى بعض ، وجنِّبْهم المبارزة فإنها من فعل أهل الذعارة والمخارجة[3] ، وليْعوِّدوا أنفسهم حمل السلاح ، وليمهروا — (فى) — التيامُنِ والتياسر والتقدم والتأخر .

أبلغُ المكائد فى قتال العدو مصانعةُ الأشراف ، وإدخال التهمة عليهم ، واصطناع السفلة، وأن لا يُعطِيَ (القائد) — أحداً منهم سلاحاً إلا ما يدفع به عن مهجة نفسه ، كالرمح والترس وما أشبه ذلك .

كانوا ينهون الفرسان أن يحملوا فى غزوهم الوسائد والفُرشَ الأرمينية[4] والمصليات والبُسط الطرازية ، والأباريق والطاسات وما أشبه ذلك ، ويأمرونهم ألا يتخذوا من المتاع إلا ما خف محمله ومؤنته وعظمت نكايته .

---

(١) فى الأصل « راجلا وفارسه » . الصواب ما هنا .

(٢) العريف رئيس عشرة من الجند . الفن الحربى للناشر .

(٣) الذعارة الخوف من الذعر ، والمخارجة نوع من المراهنة والتحدى . القاموس .

(٤) فى الأصل « الأرمنية » بلا ياء ، والبسط الطرازية المطرزة الفاخرة ، والسر فى عدم حمل هذه الأشياء أنها مشغلة لصاحبها عن الجهاد .

كانوا يأمرونهم ألا يصيروا إلى اللقاء حتى يصيبوا من الطعام والشراب حاجتهم .

لا تُمرَح الدوابُ إذا كان العدو قريباً ، ولا تترك بغير شُكُل وحفظة .

إن أمرح العدو دوابهم فلا تعبأ بذلك ، ولا تعجلوا إليهم حتى تستبينوا حالهم وترجوا الظفر بهم أو النيل منهم .

كانوا يتقدّمون إلى ولاة الثغور والحصون ألا يخرجوا ويتشاغلوا عنها بصيد السُّمَّانَى والأرانب ، ويحذرونهم ما قد يحدث فى مثل ذلك .

خلِّ سرْبَ جندك ووسع مضطرَبهم ، وأرْخِ أزمَّتهم فى دخول الأسواق والقرى التى حولك[1] .

إذا أحكمت أمرك وبثثْتَ[2] طلائعَك ونوافضَك ، وعرفت مكان عدوك من غير أن يغرِّرَ أحد منهم بنفسه ، فان الصوت فى إصابة العدو[3] ، والرجلُ من أصحابك شديد عليك مُطمعٌ لهم فيك .

أكفف لسانك عن كل عدَة ٍ ليس فى يدك إمضاؤُها ، وعن تسديد أمرك باظهار خبر لم يكن إلا عن ضرورة منك إلى ذلك ، فانك لاتزال مصدّقاً فى عدتك أميناً على خبرك ، مالم توسَمْ بالكذب والخُلْف .

ليَعدْ عنك ويضمَنْ عليك فى كل أمر لايؤمن الخلفُ فيه غيرُك من ثقاتك ، ولتطرح الأخبارَ والأراجيفَ فيما تحتاج إلى تطريحه[4] من تدبيرك ، فان كان فى ذلك خُلفٌ لم يكن منك .

إن اشتد شغَبُ الجند فدُسَّ لهم رجلا من كبار قرابتك وأصحابك ، تثق

(١) يشير هذا إلى ما عرف به الجندى العربى من حسن السيرة ، وشرف المعاملة فى الأخذ والعطاء ، والحفاظ على الآداب العامة فى الأسواق وغيرها .

(٢) فى الأصل « وثبت » والصواب ما هنا .

(٣) لعل المعنى أن الصيت والشهرة للعدو فى إصابته بعض طلائعك .

(٤) فى القاموس : يقال : طرح بنائه تطريحه طوله ، فالمراد هنا المبالغة فى الأخبار .

بنصيحته ورأيه يشغب معهم ، ويعتقد لنفسه (١) ويدعوهم إلى القيام معه ، فاذا فعلوا ذلك تلطّف لنقض أمرهم وكفّهم عنك .

ذكروا عن بعض أهل المعرفة بالحرب أنهم قالوا : إنما اشتُقّت التعبئةُ للقلب والميمنة والميسرة من لقاء الفارس قرنه ، فإنه جعل شقّه الأيمنَ ، عينه وأذنه ويده ورجله لنكاية عدوه وهو عمل الميمنة ، وجعل شقه الأيسر ، عينه وأذنه ورجله لدفع عدوه عن نفسه وهو عمل الميسرة ، وجعل فمه وصدره وقلبه المدبِّرةَ والمنجدةَ لنفسه وهو عمل القلب .

الباب السابع والثلاثون

عن مذاهب الناس وشيمهم فى الحرب

قالوا : الحرب ليست بواحدة ولا العمل فيها واحداً : من ذلك أنه قد يختلف المحاربون فى بلدانهم ، وأصنافهم ومذاهبهم فى الحرب ، كالترك والديلم والروم والهند والأكراد والأعراب وغيرهم من سائر الأمم ، كالخوارج والصعاليك وغيرهم من سائر الأصناف ، فيختلف التدبيرُ والعمل فى المحاربة على حسب اختلافهم فى ذلك ، وقد تختلف غاياتُ أهل الحرب وهممُهم : فتكون همةُ بعضهم المغاورةُ بياتاً أو صباحاً ، واستلابُ ما أمكنه والفوز به ، وقد يكون همةُ بعضهم أن يدينَ له العالم ، فيحارب من خالفه من جميع الأمم حتى يستوليَ على الأقاليم السبعة ، فبين هاتين الحالتين من التقارب مع ما بينهما من اختلاف الهمم والأحوال ما يقصرُ عنه الوصف ، ويكون اختلاف التدبير والعمل والمكايدة فيه على حسب ذلك ، وقد يقع الاختلاف فى المطاولة فيكون كل واحد من الاثنين المتحاربين يطلب صاحبه ، أو يكون أحدهما طالباً والآخر هارباً أو دافعاً فيختلف التدبير والعمل والمكايدة على حسب ذلك .

---

(١) أىّ يدعو الناس لنفسه ضد قائده ، وهذه الحيلة علاج مناسب لنفسية الجماهير .

الباب الثامن والثلاثون

فى التنبيه على المعانى التى يختلف التدبير فى الحرب

قد تختلف كل آلة من الآلات[1] الثمينة المطلوبة للحرب فى تفاضلها، أو تختلف أضداد كل آلة منها ، المجتنبة فى الحرب فى ترادلها : وهى الشجاعة والجبن والحذق وعدمه ، والكثرة والقلة والعلة وعدمها ، والموضع ـ عدمه ، والبصيرة والعمى والمعرفة وعدمها ، والعقل والجهل .

ولن يعدو المحارب أن يكون مساوياً لعدوه فيما له وعليه من ذلك ، أو مخالفاً ببعض مقادم[2] الاختلاف ، فيما بين التفاوت والتقارب ، ويختلف التدبير منه على حسب ذلك .

وليعلم صاحب الحرب أنه ليست آلة من هذه الآلات المطلوبة للحرب خلا العقل ، إلا وقد يكون فى نيلها [3] أعظمُ الضرر على صاحبها ، حتى يصيرَ بها إلى ظفر عدوه ــ (به) ــ وكذلك ضد كل آلة منها المجتنبة فى الحرب ، قد يكون ــ (فى تركه) ــ أعظمُ النفع لصاحبه حتى يصيرَ به إلى الظفر بعدوه ، وقد يختلف التدبير فى ذلك ، ويحتاج فيه إلى حسن التمييز والمعرفة ، فأما العقل فهو القيم عليها وعلى سائر أمور الحرب وغيرها ، والمدبر لها بعون الله ، والجهل مذموم فى كل حال وإن وقعت عواقب بعضه بالانتفاع .

الباب التاسع والثلاثون

وهو الباب الثالث[4] فى التنبيه على اشتباه الخطأ والصواب وخلافها

ليعلم صاحب الحرب أن الخطأ والصواب فى أمور الحرب كل واحد ــ (منهما) ــ ، قد يكون من جهة التدبير ، وقد يكون بالاتفاق[5] ، وليعلمْ

(١) المراد بالآلة هنا الصفة من الصفات القيمة . (٢) المراد هنا درجات الاختلاف .

(٣) كذا بالاصل والأنسب « فى تركها » .

(٤) عبارة « وهو الباب الثالث تشير إلى ترتيب هذا الباب فى الأصل الذى حصل اختصاره .

(٥) المقصود بالاتفاق الصدفة .

أن الخطأ والصوابَ كل واحد منهما قد يكون ظاهراً يعرفُهُ بديهةً[1] كلُّ ذى رأى من الناس ، وقد يكون ظاهراً يعرفه أهل المعرفة بالحرب ، وقد يكون باطناً لايعرفه إلا المدبِّرُ له الذى هو فيه .

وليعلم أنه قد يكون على الصواب ، فلا يعرفه أو يشك فيه أو يظن أنه على الخطأ ، وأنه قد يكون على الخطأ فلا يعرفه أو يشك فيه أو يظن أنه على الصواب ، وكذلك قد يكون عدوه .

وليعلم أن عدوَّه قد يكون على الصواب فلا يعرف هو ذلك من عدوه ، أو يشك فيه أو يظنه على الصواب ، وكذلك قد يكون حاله عند عدوه .

وليعلم أنه قد يكون على الصواب الذى يرجو ولا يشك أن فيه ظفرَه بعدوه ويكون فيه الظفرُ من عدوه به ، وأنه قد يكون على الخطأ الذى يخاف أولا يشك أن فيه الظفر من عدوه به ، فيكون فيه ظفرُه بعدوه وكذلك قد يكون عدوه .

وليعلم أن عدوَّه قد يكون على الصواب الذى يخاف هو أو لايشك فى ظفر عدوه به . فيكون ظفرُه بعدوه ، وأن عدوه قد يكون على الخطأ الذى يرجو هو أو لايشك فى ظفره بعدوه[2] ، فيكون ظفر عدوه به ، وكذلك قد يكون حاله عند عدوه[3] . وليعلم أنه قد يعرض فى أمور الحرب وأعمالها وفيما ليس من الحرب أيضاً فى شىء أعاريضُ كثيرةٌ عجيبة يكون فيها الظفر وتكون الهزيمة منه أو من عدوه .

ليس على صاحب الحرب إلا الاجتهادُ فى اجتناب الخطأ الذى يقع منه الذم كيف كانت عاقبته ، والتعمدُ للصواب الذى يقع منه الحمد كيف كانت عاقبته ، وأن يلجأ فى ذلك كلِّه وفى جميع أموره إلى الله والتوكل عليه ، ومسألته التوفيقَ والتسديدَ ، والنصرَ والتأييدَ منه وقدرته .

---

(١) فى الأصل « يعرف بدئه » .

(٢) زيدت فى الأصل كلمة « به » بعد « بعدوه » والسياق غنى عنها .

(٣) هذا التقسيم من آثار القسمة العقلية التى كانت شائعة فى العصر العباسى .

الباب الاربعون

فى الاعتذار من التقصير فى بلوغ موافقة الجميع

اجتهدنا فيما رسمنا من أمور الحرب فى كتابنا هذا، على بلوغ حاجة الجميع، فأكثرنا فيه التردد والتجواب[1]، وكيف يجمع المختلفو الآراء — والأهواء والشيم، والأخلاق والمذاهب والعادات على الرضى، وفى موافقة كل واحد منهم مخالفة الآخر[2]، والصواب عند كل واحد منهم هو الخطأ عند الآخر؟ هيهات، هذا مما لاسبيل إليه، وما أحسن من وجد حاجته منهم بتكايف ذى العناية بها له، أن يقصد لها ويدع ما سوى ذلك لأهله ولا يعنفه عليه[3]، وقد قال ناس: إنما يحتاج فى وصف الحرب إلى ذكر الجملة وما سوى ذلك فضل[4] فان كان هذا هكذا قلنا: جماع الذى يحتاج إليه الرئيس فى الحرب خصلتان: حسن السياسة لأصحابه، والتدبير للحرب، فهل يكون ذكرنا هذه الجملة كافياً لمن لامعرفة له بحسن السياسة لأصحابه والتدبير؟ وقال آخرون: بل ينبغى أن يقيس جميع أمور الحرب، ويتعلمها الأصاغر من الكبار[5] فضلا عن الأكابر من طلاب معرفة الحرب، تعلما يستغنى به عن طول التجارب والمراس، وهذا مالا يستغنى به عنهما، على أنه ليس إلى الإحاطة بأمور الحرب وحوادثها سبيل.

وقال آخرون: ليس بأحد ممن يقصد للحرب حاجة إلى الوصف، إلا الحيل التى يكون فى الجزء الواحد منها الظفر بالعدو، بل الظفر بكل من يقصد له من أهل العالم حتى يستولى عليه، وهذا مالم يعط المعرفة به أحد فيما يعلم، وإن كان يمكن أن يقع بعضه بالاتفاق.

---

(١) من جاب الأرض أى طاف بها.

(٢) يعنى أن إرضاء الجميع أمر بعيد المنال.

(٣) المراد أن المهتم بتلك الحاجة كلف نفسه إعدادها لها.

(٤) المراد بالجملة خلاصة الحديث، وبالفضل الزيادة عنها.

(٥) العبارة فى الأصل «ويتعلمه الأصاغر فى الكبار».

وقال آخرون : كل من يقصد للحرب يتتبّعها[1] على ما ينبغي أن يعمل به في وقت الحاجة إليه ، فالضرورة والبأس فيه سواء ، إلا بقدر تفاضل العقول ، وهذا خلاف[2] الوجود .

وقال آخرون : قد نرى كثيراً ممن يُندَب للحرب لاتجربةَ له ولا معرفةَ بما يبلغ حاجته منها ، وكثير من القادة[3] المدّعينَ معرفتها لاينجحون بطلب المعرفة — (وليس لهم) — مع هذا فضل ، إنما هو البخْتُ والاتفاقُ ، ولعمري إن ذلك ليكون وأكثر ، بل يكون مع الرئيس أعوانُ الحرب وأهلُها ، وإن لم يكن هو من أهلها إما بحسن الاختيار منه لهم والتدبير ، أو بالاختيارِ من غيره له ، أو ببعض الأسباب في كونهم معه .

على أن النصر والتأييدَ كله من الله تعالى .

المختلفون ممن لايرى الحرب[4] على حال من الأحوال . ومن لا يراها إلا في بعض الأحوال ، وفي غير ذلك من سائر أمور الحرب كثيرٌ ، ولكلٍّ مذهبٌ يذهب إليه ، فلندَعْ وصفَهم إذْ كان لانفعَ فيه مع التطويل .

ويجوز الآن لقائل أن يقول : ليس في هذا الباب كلّه نفعٌ في شيء من أمور الحرب ، وليس هو منها في شيء ، وما كانت الحاجة إلى ذكره وختمِ الكتاب إذا كان ذلك ؟ ولعمري أنه لكما يقول إن قال وإنما هي حاجةُ من حوائج النفس في الاعتذار إلى ذوي الفضل والرأي ، من التقصير منا في بلوغ حاجة الجميع وموافقتهم ، وبالله نستعين وعليه نتوكل .

تم الكتاب بحول الله وقوته ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم .

---

(١) في الأصل « يتبعه » بالتذكير .

(٢) هذه الجملة الأخيرة رد المؤلف على المعترض .

(٣) العبارة في الأصل « وكثير من القدر ما فيها المدعين معرفتها » .

(٤) أي لا يرى الحاجة إليها إطلاقاً .



